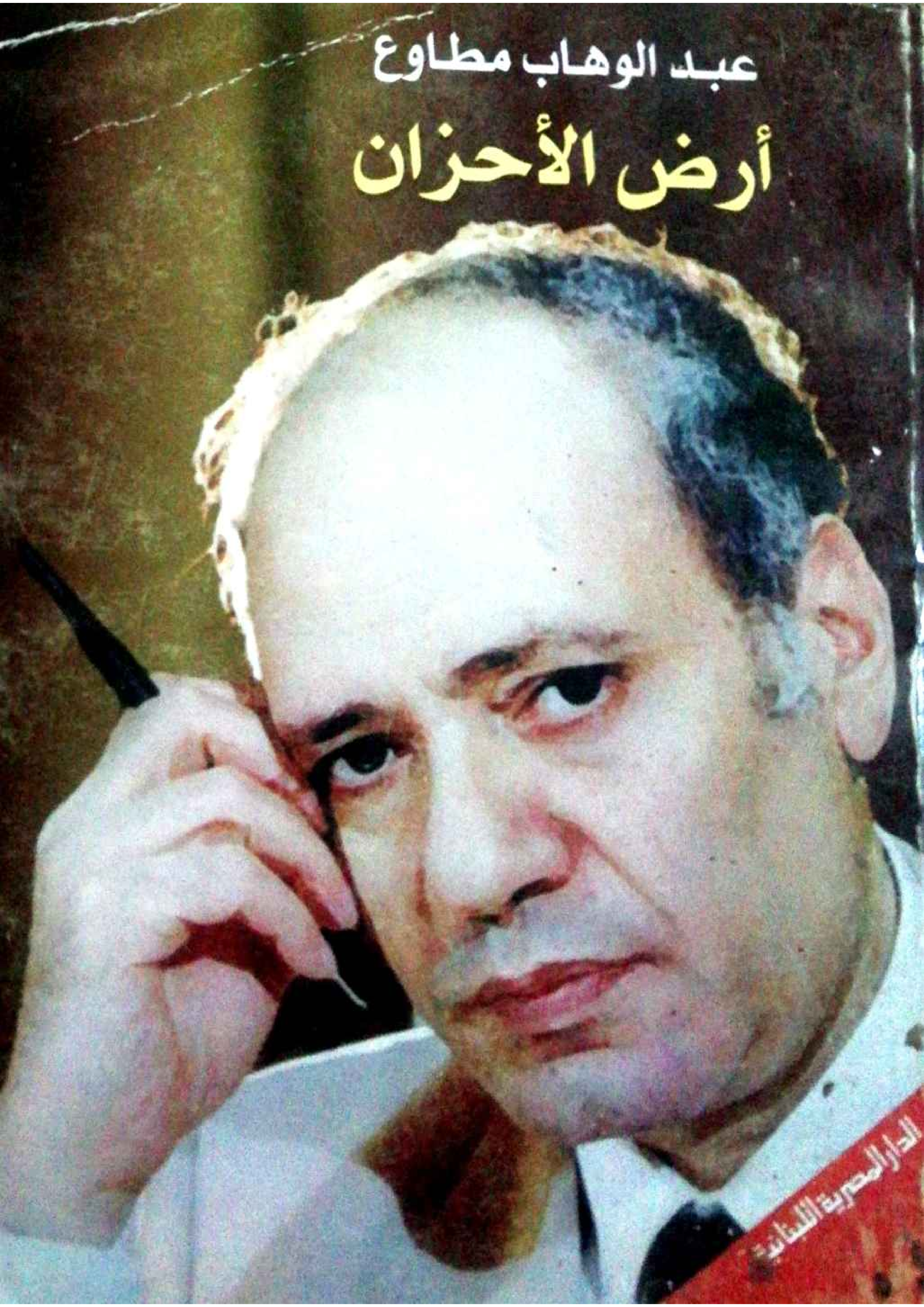
عبد الوهاب مطاوع

أرض الأحزان





أرض الأحزان

بيانات الفهرسة أثناء النشر
(الإدارة المركزية لدار الكتب)

مطاوع ، عبد الوهاب

أرض الأحزان / عبد الوهاب مطاوع

. ـ ط 1. ـ القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ،

. 2006

192 ص ؛ 20 سم .

تدمك 4- 972- 270-977

1- القصص العربية .

أ ـ العنوان .

. 813

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت ـ تليفون: 3910250

فاكس: 3909618 ـ ص.ب 2022 ـ القاهـرة

e-mail:info@almasriah.com

www.almasriah.com

تجهيزات فنية: الإسـراء ـ تليفون: 3143637

طبع: آمـون ـ تليفون: 7944517 - 7944356

رقم الإيداع: 15626 / 2006

الطبعة الأولى: رجب 1427هـ ـ أغسطس 2006 م .

عبد الوهاب مطاوع

أعمال لم تنشر

أرض الأحزان

الدار المصرية اللبنانية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

كلُّ الناس يموتون ، لكن القليلين هم الذين تبقى ذكراهم ، بعد موهم ، وعبد الوهاب مطاوع (١٩٤٠ - ٢٠٠٤) واحد من هؤلاء القلائل النادرين . ذلك أنّه جعل من عمره وروحه وعمله ، واحة يستظل بها المكدودون فى رحلة الحياة ، والباحثون عن الأمل ، وسط هجير الواقع المؤلم ، تحوّلت حياة « مطاوع » إلى ملك لقراء بريد الجمعة الذى كانت تصله فى الأسبوع الواحد أكثر من مائة رسالة من مصر وشتى أقطار الوطن العربى ، فقد كان يملك قاعدة قراء تغطى كل تلك الأقطار ، حتى أن بعض الصحف العربية كانت تنشر رسائله بالتزامن مع جريدة الأهرام ، والبعض الآخر استحدث باباً لبريد القراء أسْوة بعبد الوهاب مطاوع ، لكنه بقى فيها جميعًا صوتًا متفردًا وكاتبًا لا يُضاهى ، الأمر الذى جعل من كتبه الأكثر مبيعًا وانتشارًا بين قراء الوطن العربى ، والعرب المقيمين فى الخارج ، فى ظاهرة قلّما تتكرر فى الصحافة والثقافة العربيتين .

شكلت تلك الرسائل على مدار العقد الأخير من القرن العشرين بانوراما حية وصادقة ، لواقع المجتمع المصرى والعربى ، وما استجد عليه ، وفيه من تغيرات ، عاصفة مزلزلة حينًا ، وهادئة بطيئة أحيانًا أخرى ، وكان عبد الوهاب مطاوع يملك الحاسة الصافية والعقل الراجح، فيشير إلى تلك التغيرات ويحددها، ويضع - بمبضع جرّاح ماهر - الحلول لها وكيفية معالجتها ، ساعده على ذلك علم وافر وثقافة غزيرة شكلتها خلفيته الدينية العميقة ، وثقافته التراثية العربية المتعمّقة ، مضافًا إلى كل ذلك اطلاعه الواسع على الثقافة الغربية الحديثة ، مما جعله موسوعة متحركة ، فضلاً عن رحلاته المتعدّدة فى شتى ربوع العالم ، مما

منح ردوده على تلك الرسائل قيمة علمية غاية فى الدقة والوضوح ، ومع حنوّه على أصحاب المشاكل وقسوته فى أحيان أخرى فإنه كان يقدِّر الضعف البشرى ويلتمس لأصحابه الأعذار.

من هذا المنطلق ، وإيمانًا بدور وقيمة عبد الوهاب مطاوع فى الذكرى الثانية لرحيله أخذت «الدار المصرية اللبنانية» على عاتقها عبء إتاحة هذا التراث للقراء العرب ، بالاتفاق مع ورثته الكرام ، فأخرجت هذه السلسلة الجديدة التى لم تنشر من قبل ، وعملاً بسياسة الدار الثابتة فى إتاحة الأعمال التى أنجزت للكثير من الكتاب المصريين والعرب ولم تنشر من قبل ووضعها بين يدى قرائها فى كل أنحاء الوطن العربى .

وإيمانًا ، من الدَّار - أيضًا - بقيمة تراث عبد الوهاب مطاوع ، وفى القلب منه هذه الرسائل ، التىتشكّل الخلفية الاجتماعية للتطوّر الاقتصادى والسياسى الذى مرّت به مصر والوطن العربى فى العقدين الأخيرين ، تلك الخلفية الاجتماعية التى تشبه المرآة تنعكس عليها تلك التطوّرات سلبًا وإيجابًا تأثيرًا وتأثرًا.

فمن ينكر أن عبد الوهاب مطاوع وضع يديه بحاسة الصحفى الدءوب ، وقلب المثقف الواعى وعقل المصرى وضميره على خفايا ما يجرى فى حياتنا من عراكٍ اجتماعى وثقافى موّار .

وتأمل «الدار المصرية اللبنانية» ، إذ تضع هذا التراث بين يدى القراء ، أن يشكل عزاءً ولو بسيطًا فى فقد رجل أقل ما يوصف به أنه «قلب كبير» وقيمة إنسانية متفرِّدة ، وذلك سرّه الدفين الذى جعل الجميع يتفق على محبته حتى الذين لم يقابلوه ولم يعاشروه ، ولم تكن علاقتهم به أكثر من علاقة قارئ بكاتب.

فإلى كل هؤلاء تهدى «الدار المصرية اللبنانية» تراث عبد الوهاب مطاوع .

حب التمتع !

دفعتنى إلى الكتابة إليك قراءتى لرسالة « سر التحول » ، وشعرت برغبة قوية فى أن أقول لصاحبتها إن الله سبحانه وتعالى: سوف يجزيها خير الجزاء لرفضها الزواج من زوج صديقتها .. ولمساهمتها فى تنبيه هذه الصديقة للاهتمام بزوجها ، واستعادة الخيوط المقطوعة معه على الرغم من وحدة كاتبة الرسالة وحاجتها للزواج بعد ترملها وهى مازالت شابة .

فأنا سيدة فى الثانية والأربعين من عمرى .. وقد تزوجت منذ عشرين عامًا ، من زميلى فى العمل بعد قصة حب عميقة ، وأنجبنا البنين والبنات .. وسافرنا إلى الخارج واغتربنا لحوالى خمسة عشر عامًا . ثم رجعنا إلى بلادنا نستمتع بثمار الغربة والشقاء فى مجتمعنا ، وأقمنا مشروعًا صغيرًا ، نجح المشروع واكتملت كل جوانب حياتنا ، فنحن نعيش والحمد لله فى مسكن جميل .. وأبناؤنا مهذبون وموفقون فى دراستهم .. وأنا أحب زوجى وأخلص له .. وأهتم بنفسى وبمظهرى من

أجله ، وأهتم بزوجى وألبى كل احتياجاته المادية والنفسية والعاطفية ، ولا أقصِّر فى حق من حقوقه ، حتى راح يشيد بى فى كل مجلس ويذكر للأهل أننى خير زوجة له .

وفى غمار سعادتى واطمئنانى ليومى وغدى ، لاحظت فجأة منذ بضعة شهور اهتمام زوجى الزائد بنفسه ، وتأخره غير الطبيعى عن العودة للبيت فى الليل ، وتحدثت معه فى ذلك طويلاً ، وتحت ضغط الإلحاح من جانبى على أن يفسر لى هذه التغيرات الجديدة فى حياته ، فوجئت به يبوح لى بأنه قد تزوج منذ عدة شهور بأرملة ذات أبناء !

ومادت الأرض بى ، وسألته باكية عما دعاه لأن يفعل ذلك ؟ وهل قصرت معه فى أى شىء ؟ فأجابنى فى هدوء بالنفى ، وزاد على ذلك أن قال لى إن الأخرى قد سألته نفس السؤال عند التقدم إليها ، فأجابها بأنه لا ينكر علىّ أى شىء ، ولا يشكو نقص شىء لدىّ .. لكنها رغبة فى نفسه أن يتمتع بأكثر من امرأة ! واختتم حديثه معى بسؤاله لى : أليس لى الحق فى الزواج بأكثر من واحدة ؟

ولم أدر بماذا أجيبه عن هذا السؤال المرير ، ولم أفهم كيف يكون «حب التمتع» بأكثر من امرأة ، دافعًا كافيًا لكى يتزوج زوجى بامرأة أخرى ، وهو يعترف بعدم تقصيرى معه فى شىء ، وأحسست بأنه قد ألقى بى فى حفرة من النار ويطلب منى ألا أتألم لاحتراقى بها .

لقد انهار أمانى واطمئنانى واستقرار حياتى .. وتحولت السعادة التى كنت أحسد نفسى عليها إلى جحيم مقيم ، وطلبت من زوجى الطلاق أكثر من مرة ، وهو يرفض ذلك بإصرار ويطالبنى «بالتعقل».. وأنا لا أدرى كيف يجيئنى العقل ، وقد جزيت من زوجى على حبى وإخلاصى بالجحود ، ووصلت بى الآلام إلى حد تمنى الموت كل لحظة .. وكل ذلك بسبب هذه السيدة الأخرى التى لم تفكر سوى فى نفسها وسعادتها ، على حساب سعادتى وراحة بالى ، ومع كل نفَس من أنفاسى أصبحت أقول : حسبى الله ونعم الوكيل . وأدعو ربى أن يبتلى هذه السيدة بمثل ما أسهمت هى فى ابتلائى به ، أما زوجى الحبيب فإنه لم يرحم دموعى وتضرعى إليه أن ينهى هذه المحنة ويرجع إلى سابق عهده معنا .

وأصبحت الآن عاجزة عن التصرف . حائرة لأنى إن أخذت أولادى معى وهجرت هذه الحياة جاعوا .. وإن تركتهم ونجوت بنفسى دونهم من هذا الجحيم ضاعوا !

ولقد تأثروا بالفعل بغياب أبيهم عنهم لفترات طويلة .. ولم يعرف زواجه منهم سوى ابنتى الكبرى التى استمعت عفوًا إلى حوار بينى وبينه حول هذا الأمر ، فساءت حالتها النفسية وأصبحت تشكو من الصداع الدائم .

إننى أرجو منك أن توجه كلمة إلى كل رجل يتزوج من أخرى لغير سبب يدعوه إلى ذلك ، وأن تقول للرجال جميعًا : إرحموا من فى

الأرض يرحمكم من فى السماء . أما أنا فإن فى داخلى صراعًا رهيبًا بين نداءين .. أحدهما يطالبنى بالصبر والصمود والاحتمال ، من أجل الأبناء ومن أجل ماض جميل ومستقبل لم أفقد الأمل فيه بعد ، والآخر يطالبنى بالثأر لكرامتى الشخصية ورفض هذا الوضع .. وهذه الآلام .

فبماذا تشير علىّ أن أفعل يا سيدى .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أمل كل زوج أن يقدم على مثل ما أقدم عليه زوجك ، كما قلت مرارًا من قبل هو أن ينجح فى امتصاص ثورة زوجته الأولى على زواجه من غيرها .. وأن يتوصل معها بعد فورة الغضب والرفض والمطالبة بالانفصال ، إلى ما يعتبره الصيغة المثلى التى تجمع له بين «الحسنيين» : وهما ، استمرار حياته العائلية الأولى بغير خسائر على جبهة استقرار حياة الأبناء .. و«التمتع» بهوى النفس وإشباع رغباتها فى الحياة الأخرى ، وهكذا يكون قد استجاب لرغباته بغير أن يؤرقه مصير الأبناء .. وتمزقهم بينه وبين زوجته الأولى ، مراهنًا فى ذلك على تأثير الزمن على امتثالها للأمر الواقع بعد حين ، وترجيحها قلب الأم لاستقرار الأبناء على اعتباراتها الشخصية .. حتى ولو نزفت هى دمًا سخينًا من مشاعرها وأحزانها وإحساسها بالغدر والفجيعة فى شريك الحياة ..

ولاشك فى أنها صيغة أنانية تراعى اعتبارات الزوج وحده على حساب اعتبارات الزوجة الأولى ومشاعرها ، وفطرتها التى تنكر عليها القبول بوجود امرأة أخرى فى حياة زوجها ، لغير سبب ملح أو عجز من جانبها عن الإنجاب ، أو اقتناع داخلى لديها بعجزها عن تلبية احتياجات زوجها العاطفية والحسية ، أو خلاف تستحيل معه الحياة بين الزوجين وإن رغب كل منهما عن الطلاق إلى غير ذلك من الاعتبارات المبيحة للزواج الثانى ، كما لا شك أيضًا فى أن إقدام زوجك على الزواج من أخرى ، بغير أن يصارحك فى البداية بنيته فى ذلك ويخيرك بين القبول به والاستمرار معه ، أو الرفض والانفصال عنه ، يعد خيانة لعهد الوفاء الذى جمع بينكما والتزمت أنت به دونه ..

فإذا كنت تقولين فى رسالتك إنه لم يكن لينكر عليك شيئًا قبل إقدامه على الزواج من أخرى ، فإن « حب التمتع » هذا بأكثر من امرأة لا يعدو أن يكون طلبًا للاستزادة من المتعة ، أغراه به استقرار أحواله المادية ، بعد سنوات الشقاء والكفاح فى الغربة .. وبدلاً من أن يكافئ شريكة الكفاح على صبرها على صعوبات البداية .. وتحملها لمسئوليات الأسرة والأبناء والزوج لعشرين عامًا أو تزيد .. فلقد آثر أن يكافئ نفسه دونها على سنوات الكفاح ، بالتمتع وحده بمباهج الحياة .. ويورثها هى هذه الغصة المريرة فى نفسها ، وهى التى كانت تتطلع لجنى ثمار الكفاح ومواصلة الرحلة مع زوجها وأسرتها فى أمان .

وقبل أن يزايد علىَّ أحد فى الحديث عن مشروعية الزواج الثانى من الناحية الدينية ، فإنى أنقل هنا عن كتاب «بيان للناس الجزء الثانى» الصادر عن الأزهر الشريف ، فى عهد إمامه الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق ص ٢٣٠ الآتى عن تعدد الزوجات : « فهو ليس أمرًا واجبًا بل مباح يتوقف على حاجة الرجل إليه ، وقدرته عليه ويجوز للمرأة أن تشترط على زوجها ألا يتزوج عليها ، والشرط وإن كان غير ملزم عند بعض الفقهاء ، فإن له أثره فى نفس الزوج إلى حد ما ، ومن الضمانات أنه - أى الإسلام جعل المرأة حرة فى إبرام الزواج على الضرة ، فإن تزوجت عليها واستراحت الأسرة فبها ، وإلا كانت هى المتحملة نتيجة عملها ، فيمكن للمرأة أن تقاوم التعدد بمنع الجديدة أن تتزوج على الضرة ، ومن الضمانات أيضًا جواز أن تجعل المرأة عصمتها بيدها ليكون الطلاق سهلاً إن تزوج عليها . وكذلك اشتراط عوض مالى على الزوج إن تزوج بأخرى ، وذلك إلى جانب الأمر بالعدل بين الزوجات » .

فإذا كنت تسألينني بعد ذلك عما تفعلين إزاء ما تواجهينه الآن فإنى أقول لك : إنك تملكين الرفض والمطالبة بالانفصال إذا رأيت فى ذلك دفعًا لضرر لا تستطيعين حجبه عنك .. وتملكين كذلك أن ترجحى مصلحة أبنائك على اعتباراتك الشخصية وتقررى الاستمرار ، دفاعًا عن مملكتك وأسرتك وأبنائك فى وجه هذه الغازية الجديدة ، لأنه ليس من العدل حقًا أن تنسحبى أمامها وتتركى لها الساحة خالية دون مقاومة.

فإن شئت النصيحة فإننى لا أرى لك الاستسلام والانسحاب ، وإهداء الأخرى كل ما كافحت عشرين عامًا من أجل بنائه ، وأنصحك بالثبات على موقف الرفض النفسى للقبول بالأمر الواقع ، أو الاعتراف به .. مع استمرار الحياة مع زوجك وأبنائك على أمل ألا يطول الوقت قبل أن يدرك زوجك أى الزوجتين أحق به .. وأيهما أولى بحبه وعطائه وإخلاصه لكل ما تمثله فى حياته من حب وكفاح ، وذكريات مشتركة وأبناء يجمعون بين الأبوين برباط لا انفصام له .



المكافـــأة !

سأبدأ رسالتى بلا مقدمات فأقول لك على الفور : إننى بعد خمسة عشر عامًا من الزواج ضحيت خلالها بمستقبلى الأكاديمى والعمل كطبيبة لكى أتفرغ لرعاية بيتى وزوجى ، وبعد أن ساعدته حتى أصبح أستاذًا جامعيًا ويشغل موقعًا أكاديميًا مرموقًا ، بالإضافة إلى أعماله الأخرى التى تدر علينا الكثير ، وبعد أن أصبح أبناؤنا أمثلة يحتذى بها فى الخلق الكريم والعلم ، حيث إنهم من أوائل منطقتنا التعليمية ويحفظون أجزاء من أى الذكر الحكيم ، وبعد أن تنازلت لزوجى عن الكثير والكثير تلبية لرغباته ، حيث لم أكن أرى إلا بعينيه ولا أتكلم إلا بلسانه ولا أسمع إلا بأذنيه ، ويشهد لى الجميع بالتفانى فى رعايته وثقتى فيه ثقة عمياء ، أقول إنه بعد كل ذلك وكل هذه التضحيات كافأنى زوجى بأن فاجأنى ذات يوم دون سابق إنذار بأنه قد تزوج أخرى ، وممن تزوج ؟ من ابنة بواب إحدى العمارات التى تقع فى حينا وتبلغ من العمر ١٩ عامًا فقط وهو الذى بلغ منتصف الأربعينيات من عمره ! لقد مادت الأرض تحت قدمىَّ وأنا أسمعه يقول عنى للآخرين إننى زوجة فاشلة ولا أصلح لأى شىء!

وهكذا فقد كافأني زوجي على حصيلة الخمسة عشر عامًا التي قضيتها معه ، وعلى ما بلغه هو من مستوى أكاديمي ووظيفي ومالي ، وعلى ما يتميز به أبنائي من تفوق وخلق ، بأن ارتمى في أحضان فتاة عمرها ١٩ عامًا ، وأحضر لي بعض الأشخاص ليقرأوا على حق الزوج الشرعي في الزواج من ثانية وثالثة ورابعة ، وواجبي في الطاعة والولاء له مهما فعل ، ويذكرونني بغضب الله على إذا طلبت الطلاق ، وكيف أن الزوجة التي تطلب الطلاق لا تشم رائحة الجنة ، ولم يكتف بذلك فبدأ بسيل من التهديد والوعيد ابتداء من إلقائي على قارعة الطريق وحرماني من أبنائي ، إلى التلويح لي بأنني سوف أضطر للتسول للإنفاق على تكاليف الدعاوى القضائية التي تستغرق سنوات ، وأنا الوحيدة التي لا أملك شيئًا من حطام الدنيا بعد أن وضعت كل ثتي فيه ، لقد وقفت معي أمي وإخوتي وإخوته لكنه أرغى وأزبد وقاطع الجميع ، وأجبرني على مقاطعتهم كما أجبرني على الاعتراف أمام الجميع بموافقتي على زيجته الثانية ، وأجبرني كذلك على الموافقة على أن تقيم زوجته في نفس العمارة التي نقيم بها ، وكلما حاولت الاعتراض رفع صوته مذكرًا بآيات العذاب وأحاديث معاقبة الزوجات العاصيات لأزواجهن ، ثم ينتقل إلى مسلسل التهديدات لكي أظل حبيسة نفسي ولا أعرف ماذا أفعل . إنني أكاد أجن لأنني لا أستطيع أن أتكلم مع أحد ، فحتى أمي قد منعني من زيارتها ، وأصبح يراقب خطواتي ويعد عليّ أنفاسي ، وانفض الناس من حولي بعد أن يئسوا من محاولة الحديث معه ، لأنه يعتبر كل من يحاول سؤاله عن أسباب زواجه الثاني يستحق المقاطعة .

والآن فقد اقترب موعد مجيء الزوجة الثانية إلى العمارة ، ولا أعرف ماذا أفعل حين يفرضها علىَّ فى بيتى أو يفرض على أبنائى الاتصال بها؟ كما أنى أخشى عليهم من الاختلاط بها لاختلاف المستوى ، وبعد أن أصبحوا يفرون من أصدقائهم الذين لا يكفون عن سؤالهم عن زواج أبيهم .. فهل أخطأت يا سيدى حين استسلمت لتهديداته ؟ .. وهل صحيح أنه ليس من حق الزوجة أن تطلب الطلاق كما زعم من جاء بهم إلى ؟ وكيف أستطيع منع أبنائى من مخالطة زوجة أبيهم وكيف يمكننى مقاطعة أمى وأسرتى وأسرته وكل الناس كما يفرض ذلك على؟

إن الجيران يستمعون إلى تهديداته التى يلقيها علىَّ ليل نهار بصوت جهورى ، كما لو كان يدق طبول الحرب ولا أرى فى أعينهم إلا نظرات الشفقة والحسرة على ما أنا فيه فماذا أفعل ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لو لم يكن من حق الزوجة طلب الطلاق فى بعض الأحيان ، لما قال الله سبحانه وتعالى فى كتابه الحكيم « ولا تمسكوهن ضرارًا لتعتدوا » ولما كلف الزوج بأن يمسك زوجته بإحسان أو يسرحها بإحسان ، ولما ثبت الخلع فى الكتاب والسنة ، ولما أجاز الفقهاء ، للزوجة أن تطلب من القاضى التطليق للضرر ، أو لعدم النفقة أو لغيبة الزوج أو لحبسه .. إلخ ، ولو لم يكن الزواج من ثانية على غير قبول من الزوجة الأولى وبغير ارتضاء بالحياة مع زوجها بعد زواج الآخر مبررًا مشروعًا

للطلاق ، لما رفض الرسول الكريم أن يأذن لعلى بن أبى طالب أن يتزوج من ابنة هشام بن المغيرة ولما خيره بين زواجها وطلاق فاطمة ، ولما ألزم المشرّع موثق الزواج بإبلاغ الزوجة الأولى بزواج زوجها لترى رأيها فى حياتها معه فتقبل الاستمرار معه ، أو تطلب الانفصال عنه للضرر المعنوى ، الذى يصيبها من مشاركة امرأة أخرى لها فى زوجها ، ولما قال ابن القيم إن الرجل إذا اشترط لزوجته ألا يتزوج علهيا لزمه الوفاء بالشرط ، ومتى تزوج عليها فلها الفسخ حتى ولو لم يكن هذا مسجلاً فى صلب العقد لأنه معلوم بالضرورة عند عقده ، فكيف تكونين طبيبة ومثقفة وزوجة منذ ١٥ عامًا وتجهلين كل ذلك من أمور دينك ومن حقوقك ! إن الحديث الشريف الذى يحتج به عليك زوجك الأستاذ الجامعى الفاضل هو وأصحابه يحرم رائحة الجنة على من تطلب الطلاق من زوجها « من غير بأس » ، أى وحسب تفسير فضيلة الشيخ محمد الغزالى - رحمة الله عليه - لغير علة إلا البطر والأثرة .

وأما الوعيد الذى يتوعدك به زوجك الذى ينتقى من وحى السماء وحديث من لا ينطق عن الهوى ما يتصور أنه يستطيع به أن يقهر إرادتك على القبول بما تكرهين ، إنما يتعلق بحقوق الزوج على زوجته وهى للتذكرة ألا تمنعه نفسها وألا تصوم لغير فريضة إلا بإذنه ، وألا تعطى من بيتها شيئًا إلا بإذنه ، وألا تخرج من بيته إلا بإذنه ، ولو كان إذنًا ضمنيًا يفيد القبول وعدم الاعتراض ، إلى جانب رعاية البيت والأبناء مقابل سعى الزوج على أسرته ، وليس فى كل ذلك

ما يجبر الزوجة على القبول بضرة رغمًا عنها ، خصوصًا إذا كانت لا تتكافأ معها اجتماعيًا وثقافيًا وعائليًا مما يؤذى مشاعرها أبلغ الأذى . وليس من ذلك أيضًا إرغامها على الاختلاط بها أو التعامل معها أو قبول جيرتها القريبة لها .

فإذا كان زوجك يتحدث عن الويل والثبور وعظائم الأمور التى تتوعد الزوجة العاصية لزوجها ، فلماذا لا يتحدث كذلك عما يحفل به الكتاب والسنة من الحث على الرفق بالنساء ورعاية حقوقهن واحترام مشاعرهن ، والتأكيد على أن أساس العلاقة بين الزوج وزوجته هى المساواة بينهما فى الحقوق والواجبات ، ولماذا لا يتذكر قوله تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » ؟ وهى درجة القوامة التى لا تعنى القهر وإنما تعنى - كما يقول المفسرون - أن تكون له الكلمة الأخيرة بعد المشورة مع زوجته ، ما لم يخالف شرعًا أو ينكر معروفًا أو يجحد حقًا أو يجنح إلى سفة وإسراف ، فإذا انحرف الزوج كان من حق الزوجة - كما يقول الأستاذ أحمد موسى سالم واستشهد به فضيلة الشيخ الغزالى - « أن تراجعه وألا تأخذ برأيه وأن تحتكم فى اعتراضها عليه بالحق إلى أهلها وأهله أو إلى سلطة المجتمع الذى له وعليه أن يقيم حدود الله » .

وقبل ذلك كله وبعده فلماذا ينسى أيضًا أنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ؟ ويتجاهل أن ما يأمرك به من قطع صلة الرحم بأهلك لا طاعة له عليك فيه ؟

الحق أننى أعجب لما تقولين فى رسالتك من أنه «أجبرك» على مقاطعة أمك وأخوتك و «أجبرك» على الاعتراف علنًا بالموافقة على زواجه الثانى ، و«أجبرك» على القبول بأن يأتى بزوجته هذه البالغة من العمر تسعة عشر عامًا لتقيم فى نفس العمارة التى تقيمين فيها ، وأتساءل : أى وسائل الإجبار تلك التى استخدمها معك لقبولك كل ذلك ؟ ، هل استخدم معك قوة هرقل ؟ أم قوة التنويم المغناطيسى ؟.. أم ترى أنه الضعف والتخاذل والعجز وانقطاع الحيلة والصلة بالأهل الذى دفعك للمسايرة والتظاهر أمامه بقبول ما لا ترضين به؟ ثم تجأرين فى غيبته بالصراخ والشكوى مما تتهمينه بإجبارك عليه !

يا سيدتى تماسكى قليلاً ولا تستجيبى لمثل هذا القهر الذى لا يجيزه شرع ولا دين ، واختارى لحياتك بغير أن يشل الخوف والرعب إرادتك كأنما تواجهين قوة خفية لا قبل لك بها ، فلك فى النهاية أهل يستطيعون مساندتك إذا دعت الحاجة لذلك ، ولك أبناء وذوو قربى وأهل الزوج نفسه يتعاطفون معك ، ويستنكرون فعلته .. وهناك قضاء يمكن أن يكون ملجأك الأخير إذا دعت الضرورة له ، فلماذا هذا الانهيار ؟ لقد قال جمال الدين الأفغانى : لو لم تكونوا وعولاً لما نهشتكم الذئاب ! ولست أريد بذلك أن أشجعك أبدًا على مناطحة زوجك أو على هدم حياتك الزوجية ، وإنما أريد لك فقط أن تتمسكى بحقوقك المشروعة وألا تسمحى لأحد بقهرك على ما لا ترضين به .

فلربما أعانه تماسكك أمامه على معاودة التفكير فى الأمر كله من الأصل أو على الاعتراف لك ببعض حقوقك ، والكف عن إكراهك على ما يؤذى مشاعرك ويلحق بك أكبر الضرر النفسى والمعنوى ، فأما الجعجعة بالوعيد والزعم بالتحدث باسم السماء بهدف تبرير الأهواء الشخصية والرغبات الجامحة والأوضاع غير المقبولة منطقيًا وتربويًا واجتماعيًا ، فهى حيلة نفسية قديمة رصدها من قبل المفكر الفرنسى الكبير فولتير حين قال : حتى اللص وهو يضع المفتاح فى الخزانة ليسرق يقول : باسم الله ! والسلام ....

★★★

الحديقة اليانعة !

أكتب إليك بعد قراءتي رسالة «جني الثمار» للزوجة التي تشكو من زواج زوجها بامرأة أخرى، وتتساءل : هل من العدل أن تتحمل هي سنوات الكفاح وصعوبات البداية حتى إذا حان وقت الحصاد فوجئت بأخرى تريد أن تشاركها جني الثمار بغير تعب ولا كفاح مع الزوج .. ورسالتي هذه قد تكون جريئة بالنسبة للبعض لكني لا أشعر بأي حرج وأنا أكتبها لك فأنا يا سيدي زوجة ثانية لرجل له زوجة وأبناء وعشرة دائمة وممتدة بينه وبين زوجته لمدة ١٧ عامًا ،

وأريد أن أوضح لبعض الزوجات مبررات مثل هذا الزوج الغالي للزواج على زوجته و «خيانة» عشرة العمر كما تطلقون عليها ، فلقد جمعتني ظروف العمل منذ خمسة أعوام برجل وقور محترم واضطرتنا الضرورة للاحتكاك والوجود في مكان واحد لمدة ست ساعات يوميًا وكنت أنا مطلقة من رجل شاذ خانني مع كل امرأة قابلها في حياته بالرغم من جمالي الظاهر وأنوثتي الطاغية وثرائي ، وجاهدت معه «الجهاد

المقدس» كما طالبت كاتبة الرسالة بأن تفعل مع زوجها ، لإنجاح الحياة الزوجية بينى وبينه ، لكنى فشلت فى تقويم المعوج وانتهى الأمر بيننا بالطلاق . ودفعتنى ظروفى كمطلقة فى مجتمع عمل معظم أفراده من الرجال إلى التحفظ الشديد مع الجميع حتى لا يسىء أحد الظن بى أو تشعر أى زميلة لى بأنى قد أخطف منها زوجها ، ثم اقترب منى هذا الزميل رويدًا رويدًا واخترق الحصار الذى فرضته على نفسى وحاول التدخل لحل مشكلتى مع مطلقى، لكنه فشل لإصرارى على حفظ كرامتى، وتكرر الحديث بيننا عن مشكلتى ثم تدرج منها إلى مشكلته هو فى حياته الشخصية ففوجئت به يشكو من تسلط زوجته الحاد على حياته ، ومن قسوتها عليه إلى حد الإهانة وكيف أنه لم يسمع منها طوال عشرته لها كلمة ثناء واحدة على أى شىء فعله من أجل البيت والأبناء ، وإنما دائمًا هناك الاستخفاف بكل محاولاته الجادة للارتقاء بمستوى الأسرة ، بالرغم من أنها قد تزوجته وهى شبه معدمة ومن أسرة منهارة عائليًا ، ولقد كان ينتظر ممن حرمت من الحنان الأسرى أن يجد لديها شلالاً من هذا الحنان ، ففوجىء بالعكس من ذلك تمامًا ، وأدرك بعد المحاولات العديدة ، أن الصبار الذى ينمو فى أرض الشقاق لا ينبت عادة زهورًا جميلة فساءت علاقتها بجيرانها بسبب حدة طبعها، وساءت علاقتها بأهله وأصبحت حياته سلسلة متصلة من النكد والصراع الخفى حول من تكون له اليد العليا فى البيت والأسرة .

وفى البداية رفضت بشدة عرض هذا الزميل للارتباط بى حتى لا أصيب أسرته فى مقتل وأشتت شمل أبنائه مع أبيهم ، لكنه أقسم لى أننى سأكون الدافع له لتعويض أبنائه عن سنوات الجفاف التى عاشوها ، وأننى لن أكون عقبة فى طريق تواصله مع أبنائه وتزوجنا لاحتياجى الشديد لحبه واحتياجه الشديد لى ، وحين شعرت زوجته الأولى بوجود امرأة أخرى فى حياته صارحها بأنه حقه الشرعى وحين سألته : لماذا لم يناقشها فى الأسباب التى تدفعه لهذا الزواج ويناقشها فيما ينكره عليها لإصلاح الأمور قبل تفاقمها ؟ صارحها بأنه لم يكن يؤمن بجدوى المناقشة معها لأنها لم تكن لتعترف بأخطائها ولهذا لم يرد جرح مشاعرها .

ولقد دأبت بعض الزوجات على أن يشكين من زواج أزواجهن بأخريات ، ومن « خيانة » شريك العمر للعشرة ، ومن غدره على غير توقع ، كما دأبن على تصوير هذه الزوجة الثانية « كغازية » لبيت كان مستقرًا قبل ظهورها فى حياة الزوج أو كراغبة فى جنى الثمار واقتناص زوج جاهز لم تشاركه صعوبات البداية وسنوات الكفاح .

وأريد أن أقول لك إن الزوجة الثانية كثيرًا أيضًا ما يكون لها دخل ثابت بل ومرتفع أحيانًا لكنها قد تعبت هى الأخرى فى العمل والحياة وبدأت تجنى ثمار كفاحها ، وأنا على سبيل المثال ميسورة الحال ولم أضغط على زوجى فى النفقات والمصروفات بالرغم من أنه قادر ماليًا ، ولم أحاول أبدًا قطف ثمار حديقة زرعها غيرى لأن لى حديقتى الغناء

التى تكفينى والحمد لله ولا أحتاج من زوجى سوى الحب والاحتواء وإلى أن يكون ملكى المتوج على عرش قلبى وحياتى ، فأنا أهوى الخضوع للرجل والسكن إلى جواره والنوم مطمئنة إلى جوار قلب ينبض بحبى ، كما أنى لم أحاول مطلقًا تخيير زوجى بينى وبين زوجته الأولى ، رغم ثقتى بأننى لو فعلت فسوف يختارنى لبعد الفارق بينى وبينها فى كل شىء ، لكن ماذا سأجنى من ذلك ؟ إننى أفضل أن أكون زوجة تحافظ على أسرة زوجها وتؤهله نفسيًا للاعتناء بأبنائه من الأخرى ، عن أن أنفرد به دونهم، بل إننى أتقى الله فى أبنائه هؤلاء وأسرته وأحث زوجى دائمًا على العدل معهم ، ولقد مضت على علاقتنا الآن خمس سنوات ومازلنا نجنى ثمار حديقتنا اليانعة من الحب والتفاهم والاحتواء واتقاء الله فى المعاملة ، وليس جنى الثمار المادية الزائلة، فلماذا تحكمون يا سيدى على الزوجة الثانية بأنها دائمًا « كأمنا الغولة » .. ولماذا لا نرى فيها أنها قد تكون فى بعض الأحيان المنقذة لزوج محطم محبط نفسيًا وعلى وشك الانهيار النفسى والأخلاقى بسبب قسوة حياته وخلوها من العطف والحب والمعاملة الطيبة ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

كما قد تكون الزوجة الثانية هى المنقذة فى بعض الأحيان لزوج محطم نفسيًا وعلى وشك الانهيار النفسى والأخلاقى كما تقولين . فإنها قد تكون أيضًا مجرد فتاة صغيرة طموح تعزف عن الكفاح واحتمال صعوبات البداية ، مع شاب مقارب لها فى العمر وتؤثر الطريق السهل

واقتناص زوج متوسط العمر ، تجاوز صعوبات البداية وصنع نجاحه العملى وأغراه يسر الحياة بعد جفافها بالتطلع إلى المغامرة العاطفية .. وطلب المزيد من المتعة .

وقد تكون كما خشيت أنت على نفسك من أن تظنك زميلاتك . خاطفة أزواج أو سيدة واجهت محنة الفشل فى زواجها ، فرغبت فى ترميم حياتها على حساب زوجة آمنة وأبناء مستقرين ، ولم تكن حياتهم لتتعرض لمثل هذه المحنة لو لم تظهر فى حياة أبيهم هذه السيدة ، وكذلك قد تكون هذه الزوجة الثانية منصفة وترعى حدود ربها مع أسرة زوجها الأولى وطالبة للحب والأمان مع زوج تنام مطمئنة إلى جواره .. كما تقولين عن نفسك ، وقد تكون سيدة أنانية وراغبة فى الاستحواذ على زوجها دون زوجته الأولى وأبنائه .. وتضيق حتى الموت بكل محاولة من جانبه لرعايتهم وأداء واجباته العائلية تجاههم وقد تكون .. وقد تكون .. وقد تكون .... إلخ .

فمن طبائع البشر أن يختلفوا فيما بينهم وأن تختلف مثالياتهم ومبادئهم وسبل تعاملهم مع الحياة ، لكن السؤال الأهم هو : هل المطلوب منا هو أن نشجع الفتيات الصغيرات على رفض الحب والكفاح والحياة الطبيعية مع شركاء متقاربين معهم فى العمر واختصار الطريق باقتناص أزواج الأخريات وتهديد أمانهن وسعادتهن واستقرار أبنائهن ؟

أم هل المطلوب منا هو تشجيع كل من يشكو من بعض أوجه النقص أو الخلاف فى حياته ، أن يسارع إلى التطلع حوله ويسعى للزواج من زميلة له فى العمل أو أى مكان آخر يجنى معها ثمار حديقته اليانعة ؟ دون أية محاولة لإصلاح الأمور بينه وبين زوجته وبلا أى مغالبة للنفس ومحاولة ردها عن أهوائها ومن ميلها الغريزى لما يحقق لها الراحة والمتعة ولو شقى آخرون بذلك ؟

إن الإنسان يا سيدتى يميل بطبيعته إلى الرثاء لنفسه وإلى اعتبار نفسه شهيدًا لظروفه وضحية للآخرين ، ولو اتبع كل إنسان هواه وبحث عما يؤمن له وحده المتعة والراحة والسعادة دون النظر لأى اعتبار آخر وبلا أى مغالبة للنفس ولا محاولة للإصلاح ، لانهارت أسر عديدة وخلت من عُمُرها من الأزواج والزوجات ولدفع الأبناء الذين لم يستشرهم أحد فى اختيار آبائهم وأمهاتهم الثمن الغالى من سعادتهم واستقرارهم.

كما أن الإنسان بارع فى استخدام حيلة التبرير النفسية لإعفاء نفسه من كل لوم ، واصطناع الأسباب التى تجعل تصرفاته كلها منطقية وعادلة ، ولو راجعت ما نسبه زوجك إلى زوجته من عيوب وهو فى مرحلة الاقتراب منك لوجدتها لا تكاد تتجاوز كثيرًا مألوف الحياة بين أزواج وزوجات كثيرين ولا يفكرون - بالرغم من ذلك - فى الزواج الثانى أو الانفصال ، لأن ما يجمع بينهم أكبر مما يفرق بينهم ، ناهيك عن أنك قد سمعت وجهة نظره وحده فى هذه العيوب ولم تسمعى

وجهة نظر الطرف الآخر فيها ولا فى عيوب زوجها ، فإذا كنت لا أنكر عليك سعيك المشروع بعد الانفصال للزواج المستقر الآمن ، فلعلى أتساءل فقط ولماذا لا يبرر رجل كزوجك رغبته فى الزواج منك بأنه قد وقع فى هواك وتمكن منه حبك ويريد الارتباط بك بغير أن يقيم دعواه لتبرير هذا الزواج على أساس من عيوب الزوجة الأولى ومعاناته معها ؟

ولماذا لا تبررين أنت قبولك لهذا الزواج بحبك لهذا الرجل ووحدتك بعد الانفصال عن زوجك السابق وحاجتك إلى الحب والزواج والأمان بغير الإساءة إلى أى أطراف أخرى ؟

وماذا يمكن أن نسمى الزواج الذى يقدم عليه الزوج دون إخطار زوجته به وتخييرها بين القبول به أو الانفصال عنه سوى بأنه خيانة للعشرة ولعهد الوفاء الذى قطعه على نفسه مع الزوجة الأولى ، وهو التعبير الذى تستائين منه فى رسالتك ؟

إنى معك فى أن الزوجة الثانية ليست دائمًا «كأمنا الغولة» أو «دراكيولا مصاص الدماء» ، وأنها قد تكون العاصم بالفعل للرجل من الخطيئة ، لكن قوانين الحياة الطبيعية بالرغم من ذلك هى الأولى دائمًا بالاتباع ، ولابد دائمًا من استنفاد كل وسائل الإصلاح وحماية الأسرة والأبناء من العواصف والزلازل قبل الإقدام على مثل هذا الخيار والسلام .



أرض الأحزان !

أنا كاتب رسالة «سنوات الحرمان» التى نشرتها فى أبريل الماضى ، ورويت لك فيها تعاستى مع زوجتى التى استمرت ١٧ عامًا ، ظلت خلالها تطالبنى بالطلاق لأتفه الأسباب .. وتصف شهر العسل الذى جمع بيننا بأنه «شهر الزفت» ، بالرغم من إنجابنا ثلاثة أبناء ذكورًا بلغ أكبرهم السادسة عشرة ، وإقامتنا معًا فى مهجرنا بكندا حيث يحتاج الإنسان إلى الأسرة والحياة العائلية ، إلى أن وصلنا إلى طريق مسدود ، وانفصلنا وانفردت هى دونى بالبيت والأبناء

اعتمادًا على ما توفره الدولة هناك من معاش للمطلقات ، ورويت لك أنها ستواجه جراحة ثانية فى القلب فى أوائل شهر يوليو ، وأنها قد سبق لها إجراء جراحة مماثلة من قبل ، ورددت على قائلاً : وماذا يبقيك فى أرض الأحزان بكندا ، وقد تقطعت بك السبل هناك فلا زوجة ولا أسرة ولا عمل ، سوى المعاش الذى تتقاضاه عن عملك السابق ، عد إلى وطنك وأهلك وعملك الذى تحتفظ به فى مصر ،

وسيعوضك الله عما قاسيته خيرًا كثيرًا ، ولقد قررت أن أعمل بنصيحتك وحزمت أمرى على العودة لمصر ، ولكن بعد أن اطمئن على أم الأولاد عقب الجراحة ، حتى لا أرجع كندا منكفئًا على وجهى إذا حدث ما لا تحمد عقباه لأرعى أبنائى الثلاثة ... وعندما حان موعد الجراحة ذهبت إليها مع شقيقتى ، وتمنينا لها الشفاء واصطحبت أبنائى من منزل الأسرة إلى منزل شقيقتى المقيمة بكندا ، حتى ترجع أمهم بالسلامة بعد أسبوعين ، وقلت لزوجتى السابقة إننى سأحضر غدًا للاطمئنان عليها بعد الجراحة ، فطلبت منى الاكتفاء بالسؤال عنها بالتليفون ، لكنى لم أستجب لرغبتها وتوجهت للمستشفى فى اليوم التالى ، مع ابنى الأكبر وجلسنا فى حجرة الانتظار ، وبعد ساعتين أبلغتنى إدارة المستشفى أن الجراح يريد أن يتحدث معى فى أمر مهم ، وانزعجت لذلك . ثم جاءت طبيبة مساعدة وقالت لى إنهم يواجهون مشكلة كبيرة فى الجراحة هذه المرة ، وإن زوجتى السابقة تحتاج إلى العناية الإلهية لكى تجتازها ، وانخرط ابنى فى البكاء حين سمع ذلك ، لكنى هدأت روعه وتوضأنا فى المستشفى وصلينا معًا ودعونا لها بالنجاة ، وبعد ساعتين أخريين جاءنى الجراح الكبير متحرجًا ، وقال لى إنه قد حدث لها نزيف حاد فقدت فيه دمها كله فى أقل من ٣٠ ثانية ، نتيجة لتهتك فى الشريان الرئيسى للقلب خلال فصل القفص الصدرى . وذلك لملاصقة القلب لعظام الصدر بسبب الجراحة السابقة التى أجراها لها جراح آخر فى مستشفى مختلف .

وربت الجراح على كتفى آسفًا ثم انصرف ، وجاءت شقيقتى فطلبت منها اصطحاب ابنى معها إلى بيتها ، وبقيت إلى جوار زوجتى السابقة للصباح حتى فارقت الحياة ، ويعلم الله كم كان حزنى عليها ، وعلى أبنائى الذين أصابهم اليتم مبكرًا .. والآن فإن هذا الجراح الكبير يواجه المحاكمة أمام القضاء بتهمة الإهمال أو التقصير لا أدرى ، ورحلت أم الأبناء عن الحياة تاركة لى ثلاثة أبناء أحسن الله خلقتهم وخُلقهم ، ورجعت مع أولادى إلى البيت الذى كنت قد غادرته حين أصرت زوجتى رحمها الله على الانفصال ، وحمدت الله أن بقيت إلى جوارهم لكى أرعاهم فى هذه المحنة .

وما يؤرقنى الآن يا سيدى هم أبنائى الذين أصابهم اليتم ، وفقدوا الأم بعد أن فقدوا من قبل الحياة العائلية المستقرة ، وأنا لا أقصر فى خدمتهم بل أسعد بذلك ، لكنى لا أحب أن أعيش وحيدًا خاصة وقد عانيت فى حياتى السابقة ماورويت لك عنه الكثير ، فى رسالة «سنوات الحرمان» ، كما أن أبنائى سوف يكبرون ذات يوم ويمضى كل منهم فى طريق ، وأنا مازلت فى الثالثة والخمسين من العمر ، فهل ترانى محقًا فى ذلك أم مخطئًا .. إن بعض الأصدقاء هنا يقولون لى إننى «سأبهدل» أبنائى إذا جئت لهم بأم أخرى .. وأنا أتخوف من ذلك بالفعل لكنى لا أحتمل حياة الوحدة ، بعد كل ما عانيته فى زواجى وغربتى .. فماذا ترى أنت ؟...

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

إذا اشتدت حاجة الرجل أو المرأة إلى الزواج بعد فقد شريك الحياة أو الانفصال عنه ، فلا مجال للنقاش الطويل حول صواب ذلك أو خطئه .. ولا خطأ بالطبع فيما أحله الله سبحانه ، وإنما ينبغى أن يتوجه الحديث إلى كيفية الاختيار السليم لشريك الحياة الجديد الذى يترفق بالأبناء ويرعى الله فيهم ، ولا يضاعف من خسارتهم بفقد الأم أو الأب ، بمعاناتهم معه .. فيصبح بذلك عونًا لهم على الحياة وليس عونًا لها عليهم .. وفى ظروفك الشخصية فإن حاجتك إلى الزواج بعد كل ما قاسيت فى حياتك الزوجية السابقة ، وغربتك ، تدحض كل تردد .. ويبقى الأمل فقط فى أن يوفقك الله إلى الشريكة العطوف التى فطر الله قلبها على الرحمة ، والعدل ، والرفق بالصغار من الأيتام ، ومثيلاتها كثيرات ممن يرجون وجه الله سبحانه وتعالى ، برعاية أمثال هؤلاء الأبناء الحائرين .. لكن السؤال الذى طرحته عليك فى ردى على رسالتك الأولى يبقى مثارًا حتى الآن وهو : وماذا يبقيك فى أرض الأحزان .. وقد تقطع آخر خيوطك بها برحيل أم الأبناء عن الحياة ، وانعدام الأمل فى استعادة الحياة العائلية المستقرة للأبناء بين أبويهم ؟ .. أيكون انتظار حكم القضاء بالتعويض لك ولأبنائك هو المبرر المقبول لذلك الآن .. أم ترى أن هناك أسبابًا أخرى ؟..

إن الإنسان كما يحتاج إلى الشجاعة لاتخاذ القرار بالهجرة طلبًا لحياةأفضل ، فإنه مطالب أيضًا فى بعض الأحيان بنفس الشجاعة .

وربما بقدر أكبر منها لاتخاذ القرار الآخر فى الوقت المناسب بالاعتراف بفشل هجرته ، واليأس من تحسن الأوضاع فيها ، والعودة لبلاده مكتفيًا بما تحقق له خلالها ، ذلك أن الهجرة ليست هدفًا فى حد ذاتها وإنما الحياة الأفضل هى الهدف ، خصوصًا إذا كان كما فهمت من رسالتك يحتفظ لنفسه بخط الرجعة له مع بلاده ، وله وظيفة حكومية تنتظره إذا جنحت سفينته فى البحار البعيدة ، وأنت يا سيدى لا تعمل فى مهجرك منذ سنوات ، وتعتمد على معاشك هناك ، أو تأميناتك ولك عمل محفوظ فى مصر .. ومسكن وأهل وأسرة .. فلماذا تواصل الإبحار فى المجهول إلى ما لا نهاية ؟ .. وأين ستجد مثل هذه الشريكة التى تحتاج إليها الآن لمشاركتك رعاية أبنائك سوى فى وطنك الأم .. وبعد العودة إليها ذات يوم قريب إن شاء الله ؟



نقطة التحول!

أنا سيدة نشأت فى أسرة صغيرة .. وكنت الابنة الوسطى بين ثلاث بنات، يشهد لهن الآخرون بالأدب والخلق والجمال ، ولقد رحل والدنا عن الحياة ونحن فى مراحل التعليم المختلفة ، وتولت أمنا أمرنا بعد رحيله ، وتزوجنا جميعًا بعد انتهاء دراستنا ، فتزوجت وعمرى ٢٢ عامًا ، وأنجبت ثلاثة أبناء وسعدت بحياتى مع زوجى لأننى نشأت على الطاعة والتربية الدينية ، فكنت لزوجى نعمت الزوجة ، وكان زوجى لى نعم الزوج، ولم تنغض علينا حياتنا المشاكل لأننا نحن الاثنين نكره الخلاف والمشاكل بطبيعتنا وصبرت على دخل زوجى المتواضع لنبنى عشنا بالتدريج وخطوة خطوة ، إلى أن أكملنا بناء العش السعيد وسددنا كل الالتزامات ، وبدأنا نتنفس الصعداء ونستروح نسائم الراحة المادية فى حياتنا ، فإذا بهادم اللذات ومفرق الجماعات يختطف زوجى الشاب من بين يدى بعد عشر سنوات من الحب والوفاق ، وإذا بى أجدنى أرملة وأمًا لثلاثة أبناء وأنا

فـى الـثلاثين مـن عمـرى .. وتحملـت الصـدمة المزلزلـة بكـثير مـن الصـبر والإيمـان ، واحتضـنت أبنـائى الثلاثـة وكرسـت حيـاتى لرعـايتهم حتـى بلغـوا الآن بعـد ثمـانى سـنوات مـن رحيـل الأب ، مرحلتـى التعلـيم الإعدادى والثانوى ، وخلال ذلك تقدم إلىّ من يطلبون يدى للزواج فرفضتهم لخوفى على أبنائى من الصورة القاتمة لزوج الأم فى بعض الأحيان ، لكن أمى راحت تلح على بفكرة الزواج ، وتحدثنى عن أبنائى الذين سيكملون تعليمهم ويشقون طريقهم ذات يوم فى الحياة بعيدًا عنى ، وكيف أننى امرأة عاملة أغادر بيتى للعمل ، والناس لا يدعون أحدًا وشأنه ... إلخ .

وما إن بدأت أقتنع بحديث أمى حتى فوجئت بأحد أقاربى المقربين . وهو متزوج وله أبناء يفاتحنى فجأة برغبته فى الزواج منى ، قائلاً : إن زوجته تهمله بحجة أن أبناءها قد كبروا ، وأصبحوا أحق برعايتها لهم منه ، وأنه كثيرًا ما نبهها إلى ذلك وأنذرها بالزواج من غيرها ، ولَم تغير من نفسها .. فاعتذرت له على الفور لأنى أعتبر القبول به خيانة لزوجته التى كنت أعتبرها بمثابة أخت وصديقة عزيزة لى .. ولم أكتف بذلك وإنما اتصلت بزوجته ونصحتها بالاهتمام بزوجها أكثر مما تفعل ، وأن تعطيه ما يفتقده لديها . لكنها لم تستجب لى ووجدتها غارقة فى الثقة المطلقة بنفسها ، وتعتبر حديثه عن الزواج من أخرى مجرد تهديد غير جدى ، بل واتهمته بالأنانية فى تفكيره وشكواه ، فلم أجد مفرًا من

مصارحتها بطلبه للزواج منى ، فنزلت كلماتى عليها كالصاعقة واستمعت إلى ذاهلة وهى لا تكاد تصدق ما أقول ، ثم تمالكت نفسها فى النهاية وشكرتنى على صدقى وأمانتى معها ، وبعد ذلك واجهت زوجها بما عرفته منى ، فأكد لها صدقى وقال لها إنه قد طلب يدى بالفعل من والدتى لكنى رفضته ، فكان هذا الحديث نقطة تحول مهمة فى علاقة هذه السيدة بزوجها ، فلقد أحست بخطئها فى إهماله له وتغيرت معاملتها معه ١٨٠ درجة ، ورجعت السعادة ترفرف على حياتهما معًا ، لكن الواقعة قد تركت بالرغم من ذلك ظلالاً قاتمة على علاقتها بى وبأسرتى ، فلقد اشترطت على زوجها ألا يزور أسرتى نهائيًا ، وألا يتحدث معى فى أى شأن من الشئون ، ولم أعترض على ذلك لأنه من حقها وأنا سعيدة بسعادتها مع زوجها ، لكنى بالرغم من ذلك أفتقد صداقتها السابقة وحبها ، ولقد رويت ما حدث لزميلاتى فى العمل فاتهمننى بالجنون ، وبأننى ضيعت من يدى فرصة زواج طيبة من قريب لى ، كان سيرعانى ويرعى أسرتى ، وقالوا لى إن الحياة فرص . ولابد للإنسان من أن يقتنصها قبل أن تضيع منه ، لكنى مقتنعة بما فعلت ولا أريد أن أسعد بحياتى على حساب شقاء غيرى بهذه السعادة ، كما لا أريد أيضًا أن أعيش حياة تطاردها المشاكل والمنغصات . وأرى أن خيانة الثقة ليست من طبعى . ونصيحتى الأخيرة للسيدات المتزوجات ألا يهملن أزواجهن مهما كانت مبرراتهن لذلك ،

وألا يستخففن بتهديد الأزواج لهن بالزواج مرة أخرى ، إذا لم تتغير معاملتهن لهم ، فقد يفاجأن بأن ما كن يحسبنه هزلاً لا يستحق التوقف أمامه ، وقد تحول إلى حقيقة واقعة وتبدأ المعاناة ، وترتفع الشكوى والأنين .. والسلام ...

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من الأهمية بمكان أن يكون الإنسان مقتنعًا بصحة موقفه وصواب اختياراته فى الحياة .. وأن يتصرف فيما يواجهه من خيارات ، بما يؤمن به من مبادئ ومثاليات .. حتى ولو لم يشاركه البعض الإيمان بجدواها ، والحق أننى أشاركك الرأى فى صواب موقفك من رفض قريبك المتزوج والمعيل ، ليس فقط لأنه زوج وأب ، وإنما أيضًا لأنك الصديقة المقربة لزوجته .. ولأن ما كان يشكو منه فى حياته معها قد أثبتت له التجربة العملية أنه قابل للاستدراك والإصلاح ، بدليل ما شهدته حياته مع زوجته من تغير للأفضل بعد واقعة تقدمه لطلب يدك ، فإذا كان هذا التحول الإيجابى لم يتحقق ، إلا حين استشعرت زوجته خطورة المشكلة وجدية إنذاره لها بالزواج من غيرها ، فإن ذلك لا يغير من حقيقة الأمر ، وهو أنه كان فى الإمكان إصلاح الحال بينه وبين زوجته بغير أن يفجعها بالزواج من صديقة مقربة لها .. وبغير أن يزلزل حياة أبنائه بذلك .. كما أنه من المؤكد أيضًا أن زواجك منه لم يكن هو الحل الأمثل لمشكلتك الشخصية .. لأن توابعه من العواصف والاضطرابات

لم تكن لتحقق لك فرصة الحياة الهادئة المستقرة .. وما كنت لتستشعرى السعادة المنشودة معه ، وظلال صداقتك السابقة لزوجته تؤرق ضميرك وتفسد عليك هناء أوقاتك ، فضلاً عما كنت ستتعرضين له من «أهوال» من جانبها تتعارض مع طبيعتك المسالمة والراغبة فى الحياة الآمنة بلا مشاكل ولا اضطرابات ، ولا تسمح لك بالاستمتاع بمثل هذا الزواج .. أما حديث بعض زميلاتك لك عن فرص الحياة التى ينبغى للمرء اغتنامها قبل أن تضيع من يديه ، فهو حديث مرفوض . فإذا تجاوزنا عن المنطق الانتهازى الذى يعبر عنه فقد نقول إنه لا بأس بأن يحاول الإنسان اغتنام الفرص المتاحة له ، ولكن بشرط أن تكون فرصًا مشروعة وعادلة ، ولا تسلب أحدًا من حقوقه . وفى مقابل هذا المنطق اللا أخلاقى الذى تلومك به بعض زميلاتك ، هناك المنطق الإيمانى الحكيم الذى يصوغه لنا الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه فى حديثه الشريف فيما معناه : أنه لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه .. وهذا المنطق البسيط وحده لو اهتدى به البشر لخلت الحياة من كثير من شرورها ، ولنقصت مساحة الآلام والأحزان فيها إلى حد كبير، كما أن هناك أيضًا المنطق الآخر الذى تحدده كلمات الفيلسوف الألمانى « كانت » حين يقول : كن كاملاً فى عالم ناقص يكمل العالم على مر الزمن .. بمعنى أن شيوع الخطأ لا ينبغى له أن يكون مبررًا لكل ذى قلب وضمير لكى يفعله ، بدعوى أن الآخرين يرتكبون نفس الخطأ ، وإنما لابد أن يكون هناك دائمًا من يفعل ما يؤمن بعدله وصوابه

وحكمته على المدى البعيد . ولو ضحى فى سبيل ذلك بالفوز الرخيص. أما نداؤك للزوجات بالاهتمام بأزواجهن قبل أن يفاجأن بما ظنن أنه هزل ، لا يستحق التوقف أمامه وقد تحول إلى واقع بغيض ، فإنى أشاركك الرأى فيه كذلك .. وأضيف إليه نداء مماثلاً للزوجات بألا يتعاملن بنفس هذه الخفة ونفس هذه الثقة المفرطة فى النفس ، مع الإنذارات المماثلة بالانفصال من الطرف الآخر .

تبقى النقطة الأخيرة فى هذه القصة وهى الظلال القاتمة لما حدث على علاقتك بهذه السيدة وزوجها .. وهو ما قد تعتبرينه حتى لو سلمت بأنه من حقها ، جزاء سنمار بالنسبة لك من جانبها .. والحق أننى رغم ما يبدو ظاهريًا من أنه كذلك إلا أننى أؤيدها فيه .. درءًا للشبهات ، ومنعًا لتجدد المشاكل إذا استمر التلاقى بينك وبين قريبك حتى فى نطاق الأسرة .. فدرء الضرر مقدم على جلب المنفعة فى القاعدة الشرعية المعروفة ، واستمرار العلاقة العائلية بينك وبين هذا القريب بعد ما حدث قد يفتح الباب لنزغات الأهواء وأحاديث النفس الأمارة بالسوء .. وسوف يبذر بذور الشك فى نفس زوجته تجاهه فتتجدد المتاعب .. وتفقد الحياة هدوءها ، وهو عكس المطلوب بكل تأكيد من جانبك ومن جانبها .. فإذا كنت قد خسرت صداقتها .. فلا بأس بمثل هذه الضريبة الهينة لالتزامك بمبادئك الأخلاقية وتضحيتك من أجلها .



سنوات العمر !

أنا سيدة فى العقد السابع من العمر تزوجت صغيرة من رجل فاضل، ومضت سنوات العمر بحلوها ومرها وكبر الأبناء وتوفى زوجى الحبيب بعد زواج ابنتى الكبرى ، وواصلت أداء رسالتى مع من بقى من الأبناء فى مراحل التعليم، فوقفت إلى جوار ابنى الأكبر حتى صنع حياته وأمَّن مستقبله وشق طريقه وتزوج واعتمد على نفسه، وفجعت فى ابنى الأوسط الذى كان مهندسًا وانقلبت به السيارة ولقى وجه ربه، وعانيت كثيرًا فى هذه المحنة القاسية حتى ألهمنى الله الصبر ، وأديت فريضة الحج وزرت قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، ورجعت وقلبى عامر بالإيمان، فاستعوضت ربى فيه وواصلت حياتى ، وكان ابنى الصغير طالبًا بكلية الحقوق فى ذلك الوقت . فركزت فيه اهتمامى وحنانى، وتخرج فى كليته وعمل محاميًا تحت التمرين ، وبعد انتهاء تدريبه طلب منى أن يحول غرفتين من الشقة التى أقيم فيها وهى من ٤ حجرات إلى مكتب محام، فرحبت بالفكرة

وأثثت له المكتب من مالى وافتتحه وعمل به ورزقه الله رزقًا طيبًا بفضل دعائى له ، ثم تعرف بفتاة وفاتحنى برغبته فى الزواج منها ، فسعدت بذلك ، ودبرت كل الأمور ، وبنيت له شقة وساعدته فى الزواج وتزوجها ، وسعد بحياته معها ، وواصل عمله فى المكتب الذى يحتل غرفتين من شقتى ، ونجح فى عمله .. فجاءنى بعد فترة وطلب منى ترك الشقة كلها له والإقامة معه فى شقته لكى ينفرد بالشقة ويتسع المكتب ، فلم أرفض طلبه وانتقلت للإقامة معه وباع أثاث شقتى التى عشت فيها سنوات العمر الطويلة ، ومضت الحياة بى وابنى ينتقل من نجاح إلى نجاح ، وبالرغم من ذلك أعطيه معاشى كله ، ثم بدأت المشاكل التقليدية بينى وبين زوجته وبدأ ابنى الذى أفنيت العمر كله فى حبه ورعايته والعطاء له يتغير من ناحيتى ، ويتخذ صف زوجته ضدى على الدوام ويثور علىّ لأتفه الأسباب ، وأصبحت أعيش شبه وحيدة فى مسكنه لأن أبنائى الآخرين قللوا من زياراتهم لى فى بيته بسبب سوء معاملة زوجته لهم .. وأخيرًا صدمنى ابنى الحبيب صدمة العمر ، وقال لى إنه لا يريدنى أن أستمر فى الإقامة معه ، وطلب منى الانتقال للإقامة لدى أبنائى الآخرين ، فخرجت من بيته وأقمت عند ابنتى ، لكنى حزينة لغدر ابنى بى بعد كل ما فعلته من أجله وأخاف من الزمن.. ولا أدرى ماذا أفعل .. وأناشدك أن توجه كلمة إلى ابنى العاق الغادر بأمه هذا..

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا تفعلى شيئًا يا سيدتى .. ولا تحزنى على من غدر بك وتنكر لك وصدمك صدمة العمر ، بمطالبته لك بإخلاء مسكنه والانتقال للإقامة لدى غيره من أبنائك .. وإنما احتسبى عند ربك كل ما قدمت له على مر السنين ، وتعزى عمن جحد فضلك وكره صحبتك ، بمن يعتز بوجودك فى حياته ويأنس بصحبتك له ، ويرجو فضل ربه برعايتك والإحسان إليك .. وقد لا يكون قد نال منك بعض ما ناله منك هذا الابن الغادر .

ولسنا للأسف نملك لأبنائنا إذا انشب بعضهم أظافرهم فينا سوى ذلك ، ولقد يغلبنا دمع الأسى حين نتذكر كيف تلقفناهم من عالم الغيب صغارًا لا يملكون من أمر أنفسهم شيئًا ، فسعدنا بهم وحنونا عليهم وغمرناهم بحبنا وعطائنا .. وعلمناهم الأسماء كلها .. ورعينا خطواتهم فى الحياة ، وآثرناهم على أنفسنا ولو كانت بنا خصاصة ، ورجونا لهم فى الحياة نصيبًا أفضل مما نلناه نحن منها ، وأنكرنا ذواتنا من أجلهم .. فأحسن بعضهم إلينا وأساء البعض الآخر ، ورجونا لمن أحسن إلينا حسن المآل وخير الجزاء ، وأشفقنا على من أساء إلينا من غضب العزيز الجبار ، ورجونا له الهداية قبل فوات الأوان لا أملاً فى عطفه علينا ، وإنما خوفًا عليه مما تخفيه له الأيام .. وهذا قدرنا يا سيدتى أن نشفق على من أساء إلينا من ثمرات قلوبنا بأكثر مما يجنح بنا الغضب عليهم .. ونتلهف للصفح عنهم إذا ندموا على ما فعلوا بنا بأسرع مما

نتلهف على محاسبتهم على ما جنته أيديهم علينا ، فكأنما نكرر بذلك حكاية الأعرابية العجوز التى أغضبها بعض أبنائها فقالت :

- أدعو على أبنائى وأكره من يقول من بعد دعائى : آمين !

أو حكاية إمام المتقين على بن أبى طالب حين قال ذات يوم محذرًا من كثرة طلاق ابنه الحسن رضى الله عنه : لاتزوجوا الحسن فإنه مطلاق - أى كثير الطلاق - فقام إليه رجل من كرام الناس قائلاً له :

- والله لنزوجنه ولو طلق كل يوم امرأة !

فلم يتمالك الإمام نفسه وغلبته عاطفة الأبوة وقال للرجال :

- نعم القوم أنتم !

هذا هو قدرنا يا سيدتى ولا حيلة لأحد فى أقداره ..

أما ابنك فحسابه مع ربه على ما فعل بك عسير ، غير أنه يستطيع إذا كان مازال يخشى الله واليوم الآخر أن ينقذ نفسه من هذا الحساب العسير ، باسترضائه لك واستدراك ما فاته من حسن رعايتك وتعويضك عن كل ما تسبب لك فيه من آلام وأحزان .



العيب الوحيد !

قرأت رسالة «اللقب الجميل» للزوجة الفاضلة التى حرمتها أقدارها من الإنجاب ، وسعت لرعاية طفل يتيم من إحدى دور الرعاية ، وتصف ما أضافه هذا الطفل البرىء من دفء ومشاعر إنسانية جميلة إلى حياتها ، حتى تتعجب من بعض الآباء والأمهات الذين لا يستحق أحدهم «اللقب الجميل» الذى يحمله كأب أو أم ، حين يتخلون عن مسئولياتهم تجاه أبنائهم وينصرفون عنهم لإشباع أهوائهم .

ولقد دمعت عيناى حين قرأت هذه الرسالة الجميلة ، وأريد أن أروى لكاتبتها ولك قصتى ، فلقد تزوجت منذ عشر سنوات ، وكنت أنا - الزوجة ليس زوجى - التى قمت بتجهيز البيت بكل ما فيه وحملت عنه كل أعباء الحياة من إنفاق وخلافه ، منذ بداية زواجنا لمدة حوالى تسع سنوات عشتها معه فى إحدى الدول العربية ، حيث كنت أنا - الزوجة - التى أعمل ، وهو يجلس فى البيت متعللاً بأنه لا يجد العمل الذى يتناسب مع مؤهله الجامعى ومركزه ، ثم حملت فى طفلى

الأول ودخلت المستشفى لكى أضع حملى ، وغادرته حاملة وليدى على ذراعى ، فإذا بزوجى يقول لى إن من يحبه ربه يُحرمه من الأبناء ! فتألمت لذلك كثيرًا وبكيت .. وضاعف ذلك من أحزانى حيث إنه كان قد هجرنى فى الفراش فور علمه بحملى عقابًا لى على فعلتى الشنعاء، وهى الحمل والإنجاب الذى يثقله بمسئولية طفل لا يريده ، ومع ذلك فقد تحملت وتغاضيت عن أبشع ما يجرِّم به رجل زوجته وهو عدم رغبته فى الإنجاب منها لكى يظل كما يقول طائرًا طليقًا غير مقيد بالأطفال والأعباء ..

ومضت ٤ سنوات على ميلاد طفلى الأول بخيرها وشرها ، ثم حملت للمرة الثانية ، فكانت الطامة الكبرى ، وهجرنى زوجى فى الفراش لحوالى العام مرة أخرى عقابًا لى على الفعلة الثانية الأشد شناعة ! وأنجبت طفلتى الثانية وسعدت بها وحدى .. وتحملت من جديد الكلمات الشاردة والعبارات الساخطة من زوجى على نعمة الله التى أنعم بها علينا وتجرعت المرارة وحدى ..

وبعد ٤ سنوات أخرى حملت بالمصادفة فى الطفل الثالث .. فإذا بزوجى ينفجر فىّ غاضبًا وثائرًا ، ويتهمنى بأننى قد خدعته وأننى لا أفكر سوى فى الإنجاب ، مع أنه لا إرادة لى فى ذلك .. ولم أكن راغبة مثله فى أن أنجب من جديد .. بعد أن منّ الله علىّ بالولد والبنت ، لكن ماذا أفعل فى إرادة الله سبحانه وتعالى .. وقد شاءت إرادته وبالرغم من قلة الأوقات التى يقترب فيها زوجى منى ، أن أحمل ثلاث مرات وأنجب ..

لقد قلت له الكثير والكثير عن إرادة الله سبحانه وتعالى .. لكنه يرفض ما أقوله له ولا يقتنع به .. ويردد فى عصبيته - وهو الذى لا يفقد أعصابه أبدًا - بعض الكلمات الشاردة المخيفة التى تشككنى فى صحة إيمانه ، ولقد فكرت طويلاً وطويلاً فى الانفصال عنه بالرغم من أطفالى الثلاثة ، لكنى قررت أن أعطى زوجى فرصة أخرى ، وأعطى نفسى أيضًا هذه الفرصة ، وطلبت منه أن يحدد لى عيوبى لكى أعمل على إصلاحها ، فإذا به يقول لى إنه لا يرى فى عيبًا سوى هذا العيب الوحيد وهو الإنجاب !

وسكت مقهورة ، وقررت منع الحمل بكل الوسائل الممكنة وأبلغته بذلك ، لكننى حائرة ولا أدرى هل حياتى معه حلال أم حرام بسبب نطقه بتلك الكلمات الشاردة الساخطة عند كل حمل وإنجاب ، خاصة أنه لم يندم عليها ولم يتب عنها بعد .. فماذا تقول لى يا سيدى ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من مفارقات الحياة المؤلمة أن يسخط البعض على ما يسبغه عليه ربه من نعم ، جليلة قد يشقى آخرون للفوز بشىء منها ، لكن لا عجب فى ذلك بالنسبة لزوجك وقد جاءه كل شىء سهلاً بلا عناء ولا شقاء ، ولا سعى من جانبه للوصول إليه .. ابتداءً من تكفلك بكل نفقات الزواج عنه إلى تحملك لكل أعباء حياتكما المشتركة لمدة تسع سنوات ، وهو قابع فى بيته ينتظر العمل اللائق «بمكانته» .. إلى تكفلك أيضًا بالإنجاب له وإهدائه ما لا يستحقه من جوائز السماء الغالية ..

نعم لا عجب فى ذلك فلقد اعتاد ألا يتحمل أية مسئولية .. وألا يشقى لبلوغ الأهداف المرجوة ، كما أنه فيما أتصور غير قادر على العطاء للحياة ، فكيف يسعد بالأبناء وهم مسئولية عظمى لكل ذى قلب رحيم .. وعطاء متصل من البداية للنهاية من الأب لأبنائه !

إن الأبوة مسئولية إنسانية ودينية وأخلاقية وعطاء للبشرية وللأبناء .. وهو لا يتحمل المسئولية ولا يرغب فى العطاء لغير نفسه .. ولهذا فقد سخط على نعمة الإنجاب بدلاً من أن يرضى بها ويشكر ربه عليها .. مصداقًا لقوله تعالى : (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) [فصلت ٥١].، ولقد ينعم الله سبحانه وتعالى على من لا يستحق نعمه الجليلة لتكون اختبارًا له ، ويكن حسابه له على ما لم يشكر ربه عليه عسيرًا .. تمامًا كما ينعم على آخرين بالمال الوفير ليرى وهو البصير بعباده كيف يتصرفون فيه ، وهل يحسنون به إلى أنفسهم وغيرهم أم يسيئون ؟ (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) «صدق الله العظيم» [الأنبياء ٣٥] .

غير أنى أتساءل عما يدفعك لتحمل كل هذا «البطر» منه .. وهو كما فهمت من رسالتك لا يقوم بواجباته الإنسانية والعائلية تجاهك ، ثم لا يكتفى بذلك وإنما يزيد عليه أيضًا بجرح مشاعرك هذا الجرح الغائر بسخطه على إنجابك منه ، ويعاقبك على جريمة الحمل كل مرة بالهجر الطويل ؟

ولماذا التزمت بكل هذه السلبية معه .. ولم تحاولى تنبيهه طوال هذه السنين إلى أنه لا يحق له أن يصدم مشاعرك بهذا السخط الكريه على إنجابك منه ، ولا أن يعاقبك عليه .. كأنما قد ارتكبت أمرًا إدًّا؟

إن «الطيور الطليقة» مكانها السماء الفسيحة وليس بيوت الزوجية بمسئولياتها الإنسانية والدينية والأخلاقية ، فإذا لم يكن - بطبيعته الأنانية - قادرًا على تحملها .. فليكف على الأقل أذاه المعنوى والنفسى عنك .. فلا يؤلمك بمثل هذه الكلمات الجارحة .. وهذا «العقاب» الشائن كل مرة على غير جريمة ، وإذا لم يكن قادرًا كذلك على شكر خالقه على نعمته الجليلة عليه فليصمت ، وليعقد لسانه عن الخوض فيما لا يجوز له الخوض فيه أو المساس به..

فأما تفكيرك فى الانفصال عنه .. فله ما يبرره .. لكنك لست فيما أتصور راغبة فيه ولا قادرة عليه ..

ومادام الأمر كذلك فلا بأس بالاستمرار ، ولكن بشرط أن يكف أذاه عنك .. ويعرف لك قدرك ويشكر لربه نعمته عليه ، ويشاركك فى مسئولياتك عن الأسرة والأبناء ، ويندم على ما بدر منه من كلمات ساخطة قبل أن يمسه عقاب ربه ويصبح ذا دعاء عريض ، فأما سؤالك عن حياتك معه بعد ما تلفظ به من كلمات شاردة .. فمرد ذلك إلى نيته فيما قال .. وإلى ندمه عليه وتوبته عنه .. واستغفاره لربه بشأنه .. فإذا كان ما قاله من اللغو الذى يندم عليه قائله بعد حين ويستغفر ربه عنه

كثيرًا .. فإن الله غفور رحيم ، أما إذا كان يعنيه بالفعل ويؤمن به حقًا عنادًا واستكبارًا ، ويرفض الندم عليه والتوبة عنه فإن الأمر يختلف ، ومن واجبك فى هذه الحالة أن تسأليه فى ذلك بوضوح لتتأكدى مما يشغل خاطرك ويحق لك أن تتصرفى فى حياتك معه على ضوء ذلك .

غير أننى أتصور أن ما قاله كان من باب اللغو الطائش ، وأنه لا يفهمه حق فهمه ولا يعنيه ولا يدرك حقيقة مراميه وأبعاده ، ومن رحمة ربنا بنا أنه لا يأخذنا بهفوات اللسان ولا بسقطات الكلم فى اندفاعات الحمق والطيش والعصبية ، وإنما بما تنطوى عليه صدورنا ويستقر عليه وجداننا .. وقديمًا قال الإمام مالك رضى الله عنه «إن المسلم لو قال كلمة تحتمل الكفر من مائة وجه وتحتمل الإيمان من وجه فإنه لا يحكم بكفره » والله سبحانه وتعالى أعلم .



النقطة الأخيرة !

أنا زوجة مسنة عركتها الحياة ، أودُّ شاكرة التعليق على الرسالة التى وردت لـ«بريد الجمعة» تحت عنوان «العيب الوحيد» وتوجيه بعض النصح للزوجات أمثال هذه الزوجة ممن يتفانين فى إظهار الحب والولاء الزائد لأزواجهن . لقد كان ردكم على الرسالة تحليلاً قويًا لنفسية هذا الزوج المتبطر ، ونصحتها بالتراجع عن قرارها بالتخلى عن هذا الزوج الذى تحملت الحياة معه طوال سنوات زواجهما الصعبة الأولى ، ونصحت الزوج المتبطّر على ما أنعم الله به عليه .. ولكنى

لا أعتقد أنه سيعدل عن قراره مادامت نفسيته قد تمردت عليها ، ولن يتراجع سوى فى حالة زوال النعمة التى تبطر عليها ، واحتياجه مرة أخرى لمن يقف بجانبه .لذلك أردت توجيه هذا النصح إلى أمثال هذه الزوجة حتى تتحقق الوقاية التى هى خير من العلاج ، وأرجو منك المعذرة لرأيى الصريح فى الرجال ، وأعتقد أنك ستعذرنى إذا

استرجعت معى سيل الرسائل المشابهة التى وردت لبريد الجمعة منذ مولده ، فدائمًا الزوجة الأكثر حبًا وتفانيًا وبذلاً هى التى يتخلى عنها زوجها بأى صورة من الصور .. فالرجل ينفر عادة من الحب الزائد الذى يطارده ليل نهار ، ويصبح لديه فى حكم النظرية المؤكدة أنه يريد البحث عن الجديد ، واكتشاف الحب بنفسه لا أن يطرح تحت قدميه حتى يصيبه بما يسمى «تخمة الحب» .

أنا لا أقو أبدًا للزوجات لا تظهرن حبكن لأزواجكن ، بل لابد أن تكون الزوجة محبة وفية مخلصة لزوجها حتى تضمن حياة مستقرة سعيدة، ولكن إظهار هذا الحب ينبغى أن يكون بالقطارة تعطيه منها نقطة بعد نقطة ، مع مراعاة الدقة التامة فى ألا تفرغ القطارة من كل ما فيها أبدًا ، آخذة فى الحسبان بأن تكون النقطة الأخيرة مع آخر يوم فى عمرها .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أنشر رسالتك يا سيدتى بالرغم من تحفظى على أفكارها ، لأننى أرى أنه من المفيد أن نطلع على وجهة نظر البعض منا فى العلاقة الزوجية ، وأن نناقشها ونختلف أو نتفق معها بدلاً من تجاهلها .. أما لماذا أتحفظ عليها فلأننى لا أؤمن بمثل هذه الحسابات الدقيقة فى العلاقة بين شركاء الحياة ، ولا أرى أن تكرار نشر أكثر من قصة غدر من زوج

بزوجة محبة وتتفانى فى رعايته ، يمكن أن يضع قاعدة يكون ما تنصحين به الزوجات هو درسها المستفاد .. فإذا كانت نظرية العطاء العاطفى بالقطارة قد نجحت فى تجربتك مع الحياة الزوجية ، فإنها قد تكون على الناحية الأخرى سببًا فى العديد من الكوارث العائلية فى حياة الآخرين ، وقد تعطى الأزواج المبرر المنطقى للانصراف بمشاعرهم عن شريكات الحياة ، أو تبرير التخلى عنهن والاتجاه بحياتهم إلى طريق آخر .والأفضل دائمًا هو ألا يتحفظ شركاء الحياة فى مشاعرهم العاطفية تجاه بعضهم البعض ، وأن يكافئ كل طرف منهم ما يتلقاه من شريكه من عطاء ورعاية وإخلاص بما يستحقه الشريك من مثل هذا العطاء.

أما العقل المتنبه لما يعطى .. والذى يمنح ويمنع « قطراته» كما يشاء .. ويؤجل ما يملكه من عطاء لمرحلة أخرى من العمر .. فهو يتعارض مع ما ينبغى أن يسود العلاقة الزوجية بين الطرفين من تلقائية فى العطاء العاطفى وإخلاص المشاعر وفى كل شىء . ولا عجب فى ذلك لأن «الحساب» يتوافق مع العقل فى تدبير شئون الحياة الأخرى .. لكنه يتعارض مع العاطفة التى تفسدها مثل هذه التدابير . أما أن الزوج ينفر من الحب الزائد الذى يطارده ليل نهار فهذه أيضًا نظرية خاطئة .. فالرجل لا ينفر من الحب الزائد مهما تخطى كل الحدود ، وإنما ينفر من محاصرته وملاحقته بالشك والغيرة والرقابة ، وهى أشياء قد ترتبط لدى بعض الزوجات بالحب الزائد الذى تشيرين إليه ، وقد ترتبط لدى

أخريات بأسباب لا شأن للحب بها ، كالرغبة فى السيطرة والهيمنة والامتلاك حتى ولو لم يكن للحب وجود فى مثل هذه العلاقة .. إذن فلا خطر على الأزواج ولا الزوجات من الحب الزائد ، وأن الخطر كل الخطر من إساءة التعبير عنه بمثل هذه السلوكيات ، أو من جمود المشاعر والتحفظ فى إبدائها لشريك الحياة ضنًا بها عليه أو تحسبًا من أن يزهده ذلك فى شريكته أو إيمانًا بمثل هذه النظرية التى تتحدثين عنها!



النار المشتعلة !

لن أنتقى الكلمات لأن ما أحدثك عنه أكبر من أى كلام .. فلقد كان لى ولد يُسْعِدُ كل من يراه ويحسدنى عليه الآباء ، وكنت أفخر به وأعتز كثيرًا وأدلله كثيرًا حين كان صغيرًا . ثم كبر صغيرى وأصبح عمره أحد عشر عامًا وبدأت أنشد فيه الرجل المأمول .. لكنى ظلمت سنه الصغيرة وقتها فيما يبدو ، فلقد كان قوى البنية وبدأت الشكوى فى المدرسة من أنه مشاغب فقسوت عليه ، وبدأت أنهره باستمرار وأراقبه بصفة دائمة ، وكان ناجحًا فى دراسته لكنى كنت أخشى عليه من أصدقاء السوء ودفعنى ذلك لمتابعته فى كل مكان ..

وكنت دائمًا وراءه كظله ، فبدأ يتضايق من سخرية أصدقائه منه ، ومن أن أباه يراقبه فى كل مكان .. لكنى بالرغم من ذلك لم أتوقف عما أفعل .. وكنت أفاجئه بين أصدقائه ، وهو شاب وأطلب منه العودة إلى البيت ، لأن وقت الفسحة قد انتهى فيستجيب لى صامتًا بلا اعتراض .

ولأنه كان قد تعلم التدخين فى سن الثالثة عشرة فلقد كنت أحاصره لكيلا يتمادى فيه .. وبدأت أعطيه النقود بحساب وتقتير شديد لكيلا يشترى بها السجائر ، وفى أحيان كثيرة كنت أعاقبه فلا أعطيه إلا أجر المواصلات .. وفى أحيان أخرى كنت أقوم بتوصيله بنفسى لكيلا أعطيه أى نقود فى يده ، وكنت أنهره وأضربه كثيرًا كلما أخطأ أو تأخر خارج البيت ، ومضت الأيام وصغيرى يكبر .. وأنا مستمر فى طريقة تعاملى معه على هذا النحو .. وكل اعتراضه على ما أفعل معه هو أن يبكى .. ويبكى رغم قوة بنيانه .

ثم مضت السنون ورسب فى الجامعة فنال منى ومن والدته كل أنواع التأنيب والسخرية والشتائم والوعيد بمستقبل مظلم .

وفجأة منذ بضعة أسابيع كان برفقة بعض الشباب الذين غابوا عن رقابة أهلهم .. ويبدو أنهم سخروا منه لأنه متين البنيان .. ويصلى ويطيع أباه فى عدم التأخر خارج البيت .. ولست أدرى ما حدث بينه وبينهم على وجه التحديد لأنه فى علم الله ، وإنما كل ما أدريه هو أنه لم يعد للبيت فى موعده ، فقمت بالإبلاغ عن غيابه لمدة أربع وعشرين ساعة عن أسرته .. فلم تمض على ذلك ساعات حتى علمت أن هؤلاء الشباب قد تركوه على سلم أحد المنازل وهو فى غيبوبة إلى أن فارق الحياة .

يارببى لقد توفاه الله وغادر عالمنا وتركنا فى ذهول ، ومهما حاولت أن أصف لك عمق المرارة التى أعيشها أنا وأمه فلن أستطيع ، لأنها مرارة فقد أعز ما نملك ، ومرارة إساءة معاملتنا له حين رسب فى الجامعة ، وحين كان يتأخر عن العودة إلى البيت ، وحين كنا نجد فى ملابسه بعض السجائر وحين كنت أطارده فى الجامعة .. وفى الشارع .. وبين أصدقائه .. إنها مرارة لا تصورها الكلمات ولا تطفىء نيرانها المياه .. ولقد ذهبت أنا وأمه إلى العمرة ودعونا له بالرحمة .. لكن النار لم تنطفىء بعد فى قلوبنا ولا نستطيع أن ننام .. ويزيد منها أن ابنى الصغير يلازم الفراش منذ وفاة أخيه ، وهو من النوع العنيد الكتوم وتعليمات الأطباء لنا ألا نضغط عليه فى شىء ، فخبرنى يا سيدى ماذا أفعل تجاه الابن الراحل حتى يرضى عنى؟ ويكون سعيدًا فى العالم الآخر .. وماذا أفعل للابن الصغير حتى لا يهرب من نفسه مع أصدقاء منحرفين فيكون مصيره مثل مصير أخيه الغالى يرحمه الله ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

هون على نفسك يا سيدى فما أردت لابنك الراحل هذا يرحمه الله فى البداية والنهاية إلا خيره وصلاح أمره .. فإذا كنت قد ضللت الطريق إلى الأسلوب الصحيح فى التعامل معه .. وقسوت عليه بالفعل .. فلقد يشفع لك فى ذلك أنك ما فعلت ما فعلت معه إلا بدافع الخوف عليه من مخاطر الانحراف فى هذا الزمن الصعب المحفوف بالمخاوف والأخطار ، والخوف الزائد على الأبناء قد يخرج بنا فى بعض الأحيان

عن جادة الاعتدال ، ويفقدنا من حيث لا ندرى التواصل السليم معهم .. غير أن هناك فارقًا دائمًا بين أخطائنا مع الأبناء بدافع الحب الصادق لهم والحرص الأبوى المخلص عليهم .. وما فعلته مع ابنك رغم خطئه من الناحية التربوية .. لم يكن فى النهاية سوى حب أبوى أساء التعبير عن نفسه .. فلم يحقق الهدف منه .. ولو أنك علمت أنه سيفارق الحياة فى سن الشباب لما غاليت فى هذا الخوف الزائد عليه ، ولما قسوت عليه لحظة واحدة .. ولكن أنىَّ كان لك أن تعلم أن نداء السماء يقترب منه .. وأنت تتحسب لكل تصرف من تصرفاته .. وتتخوف من المستقبل المظلم بالنسبة له ؟ فإذا كان ثمة ما نتعلمه من هذه الرسالة المؤلمة .. فهو ألا نغالى كثيرًا فى تحسبنا للمستقبل.. ووساوسنا شبه القهرية بشأن سلوك أبنائنا ، وأن يكون الاعتدال هو رائدنا دائمًا فى تعاملنا معهم .. وترفقنا بهم ومحاولاتنا لتقويمهم إذا أخطأوا .. فأعن نفسك يا سيدى على إخماد هذه النار المشتعلة فى كبدك وكبد زوجتك .. أعانكما الله عليها بالتسليم بقضاء الله وقدره والامتثال له ، والتخفف من هذا الشعور القاتل بالذنب تجاهه . فإذا كنت تسألنى ماذا تفعل لكى يرضى عنك هذا الابن الراحل ، فلا جواب عندى على هذا السؤال المؤلم سوى أنه فى رحاب ربه المطلع على القلوب والسرائر ، وحيث تزول الحجب وتنجلى الحقائق ولا تخفى خافية .

ولقد انقطع ما بينه وبين عالمنا الزائل فلم يعد ينفعه سوى صدقة جارية ، ودعاء صالح له بأن يعوضه ربه عن شبابه فى جنات النعيم .. فحاول يا سيدى أن تستفيد بدرس هذه المحنة المؤلمة فى علاقتك بابنك

الصغير .. وتعامل معه برفق وفهم وحب .. ولا تغال فى خوفك عليه .. كما فعلت مع شقيقه .. وأشعره بالثقة والأمان ، لتعينه على اجتياز هذه الفترة العصيبة من حياته .. وحياتكم جميعًا ، فهكذا يكون العزاء له ولك ولزوجتك .. وهكذا يكون الرجاء فى رحمة السماء بكم بإذن الله .. و «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله » [الزمر ٥٣] .



الستار المزيف!

أنا فتاة جامعية نشأت فى أسرة طيبة ميسورة، وارتبطت عاطفيًا بزميل لى فى نفس السنة الدراسية ونشأ بيننا حب قوى دام لأكثر من عام، ثم فاتحنى فتاى فى زواجى منه عرفيًا لكى يضمن استمرارى معه، وقال لى إنه يكن لى حبًا صادقًا لا يقدر على وصفه، فاعترضت فى البداية على ما طلبه منى، لكن إلحاحه علىَّ أدى إلى كسر شوكتى وتزوجنا عرفيًا بدون أن أعى خطر ما أنا مقدمة عليه، وبعد فترة من هذا الزواج السرى الذى لم يعلم به أهلى وأهله - وهم أيضًا ميسورون - بدأ يتغير من ناحيتى وبدأ الستار المزيف ينكشف عن أشياء كثيرة، وبدأ يهددنى بالانفصال عنى إذا لم ألب له أى طلب يطلبه، وتحول إلى إنسان أنانى لا يهتم إلا بنفسه، وتحملت ذلك منه لأننى أحبه وأعلم أنه يحبنى، لكن زواجنا العرفى قد غيره فأصبح إنسانًا متقلب المزاج يكون فى بعض الأحيان حنونًا وصادق المشاعر وفى أحيان أخرى عصبيًا وشرسًا، ولقد وقفت إلى جواره

وشجعته دائمًا على المذاكرة لكى يحصل على تقدير يرفع مستواه العلمى ، ولكن دون فائدة . فلقد كان مستهترًا ولا يتحمل المسئولية ، ولم يختنى مرة واحدة على الاهتمام بدراستى وكانت العاقبة أن ظهرت النتيجة فرسب هو ونجحت أنا ، وحين علمت برسوبه لم أشعر بطعم نجاحى وشعرت بالمرارة ، وفكرت مرارًا فى أن أرسب هذه السنة لكى نتساوى دراسيًا وعرضت عليه هذه الفكرة لكنه رفضها وسعدت برفضه لأنه يعنى أنه يطلب مصلحتى ، لكنه مع بداية العام الدراسى الحالى بدأ يلمح لى بعدم رغبته فى ذهابى إلى الكلية هذه السنة لكيلا يشعر بالفارق بيننا ، وأحزننى ذلك وكشف لى عن حقده وأنانيته وكرهه لتقدمى الدراسى عنه ، فلقد كنت على استعداد للرسوب من أجله كتضحية أقدمها له لكنه بعد أن ظهرت لى أنانيته استبعدت هذه الفكرة نهائيًا .

إننى أعلم أننى قد أخطأت الاختيار ، وأعلم أننى أحبه وهو يحبنى ، لكن شعوره الدائم أنه يجب أن يكون الأفضل وغروره يبعداننى عنه ، وأنا فى حيرة من أمرى وأشعر أننى فى صراع بين خوفى على مستقبلى ومستقبله ، وخوفى القاتل من الافتراق عنه فبماذا تنصحنى ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ما هذا العبث يا ابنتى ؟ وكيف تتزوجين زواجًا عرفيًا سريًا بغير علم أسرتك وأنت الفتاة الصغيرة التى يتوسم فيها أهلها الصدق والبراءة ،

ولا يتخيلون أن تضمر لهم مثل هذه الخديعة الشائنة ؟ وبأى صيغة تزوجت وهل توافرت لزواجك المزعوم هذا بغير أوليائك كل أركان وشروط الزواج الصحيح ؟

وماذا يكون حالك إذا انتهت العلاقة بينكما بالانفصال ، وهو المصير الأرجح لمثل هذا الارتباط العبثى بين شابين صغيرين لم يتوافر لهما نضج الشخصية الكافى لثبات المشاعر وصحة الاختيار .. هل تطوين هذه الصفحة السرية من حياتك وتتظاهرين أمام أسرتك وأمام من سوف يرتبط بك فى المستقبل فى زواج شرعى أنه لم يسبق لك الارتباط والزواج ؟

إن مشاعر الشباب فى مثل هذه السن الصغيرة ليست ثابتة ولا نهائية ، وهى لا تكفى وحدها أبدًا لتكون جسرًا إلى الارتباط المشروع الذى يرجى له النجاح والاستمرار ، وكثيرًا ما يتسم اختيارهم لشركاء الحياة فى هذه المرحلة المبكرة من العمر بالاندفاع وسوء التقدير ، وحالك أنت خير مثال على ذلك ، فأنت تعترفين بخطأ اختيارك لأنه اختيار قام على مشاعر غير ناضجة ولا نهائية ، ولأن هوى النفس الجامح كثيرًا ما يطمس الحقائق الجلية عن العقول والأبصار ، وحين تتكشف الأستار يكون أوان التصحيح قد فات ، وضاعت من العمر سنوات ثمينة وتراجعت فرص الاختيار الصحيح والسعادة الحقيقية والاستقرار فى الحياة .

لقد نشرت رسالتك لكى تكون تحذيرًا صادقًا لغيرك من الفتيات اللاتى يغريهن بعض الشباب الطائش بمثل هذا الزواج العبثى ، بدعوى تعميد اختيار كل منهما للآخر وحجزه لنفسه إلى أن تتوافر الظروف الملائمة لتحويله إلى زواج رسمى ، أو بدعوى إرغام الأهل على القبول به ووضعهم أمام الأمر الواقع ، وكل ذلك ليس جائزًا ولا مقبولاً ، ومثل هذا الزواج غير الموثق بنص فتوى للأزهر الشريف ممنوع لآثاره الضارة على الفتاة والأسرة والمجتمع ، حتى على الرغم من صحة المعاشرة إذا كان مستوفيًا لأركان الزواج وشروطه ، فقد يكون الشىء كما يقول نص الفتوى المشار إليها صحيحصا ومع ذلك يكون حرامًا كالصلاة فى ثوب مغصوب ، والحج من مال حرام ومثل زواجك هذا فى رأيى المتواضع ليس أكثر من مغامرة عاطفية سرية مدونة على ورقة لا قيمة لها ولا تحفظ للفتاة حقًا ، ولا تثبت لها شيئًا سوى اندفاعها وجحودها لأهلها وخيانتها لثقتهم فيها ، مما لا يشرف أية فتاة طيبة ولا يرشحها للسعادة الحقيقة فى الحياة ، وكل ما أخشاه هو أن تكونى قد تزوجت هذا الفتى على الورقة المصورة التى يتناسخها بعض طلبة الكليات ، ويخدعون بها الفتيات ليقضوا منهن وطرهم تحت هذا الستار المزيف .. وهى مشكلة أخرى أرجو أن ينتبه لها المسئولون عن الشباب والدعوة الدينية ويحذروا الفتيات منها لأنها خطر يسرى تحت الرماد ، فلقد أثبتت الدراسات الاجتماعية فى الغرب أن نسبة الفشل فى

الارتباط الذى يتم فى مرحلة المراهقة وبواكير الشباب تزيد على ٨٠٪ وأن طرفى مثل هذا الارتباط سرعان ما يكتشف كل منهما خطأ اختياره للآخر ، ولكن بعد أن يكونا قد أهدرا أجمل سنوات العمر . ولهذا كله فإن ما أقدمت عليه غير جائز ولا مقبول فى مثل سنك ووضعك العائلى ، وهو بكل المقاييس طعنة فى قلوب أبويك وإخوتك ومن يهمهم أمرك ، ونصيحتى الوحيدة لك أن تعترفى لوالدتك بشجاعة بما فعلت وتستعينى بحكمتها على إنقاذ نفسك وسمعتك وأسرتك من هذا الهوان .



ميدان الحياة !

قد يكون ما سوف أعرضه عليك قد طرح أمامك من قبل مرارًا ، لكنى أريد أن أحدثك عنه لإحساسى بأن مجرد البوح به ، قد يزيح عن صدرى بعض همى ، فأنا شاب عمرى ٣٥ عامًا ، عشت حياة عادية كغيرى من البشر ، وحصلت على شهادتى المتوسطة وأديت خدمتى العسكرية ، وخرجت إلى ميدان الحياة فعملت فى عدة أعمال ، إلى أن حان وقت الزواج فرزقنى الله سبحانه وتعالى بزوجة مؤمنة سكنت إليها ووهبنى ربى طفلاً هو آية فى الجمال ، واكتملت سعادتى وأصبح أقصى هنائى أن أعمل وأكدح طوال النهار لأرجع لأسرتى الصغيرة فى نهاية اليوم حاملاً أكياس الفاكهة ، ومتطلبات البيت التى تكلفنى زوجتى بشرائها ، فأجد فى بيتى الصغير راحتى وسعادتى وأقضى ساعات طيبة بين زوجتى وطفلى ، قبل أن نهجع إلى النوم راضين . ونصحو فنستقبل يومًا جديدًا بالأمل والاستبشار ، وظلت الحال على هذا النحو إلى أن شعرت ذات يوم بألم شديد فى معدتى يزحف إلى

أسفل ، فاستعنت عليه فى البداية ببعض المسكنات ، ولكنه تزايد واستمر وأصبحت لا أحتمله فتوجهت إلى الطبيب ، وبدأنا رحلة طويلة من التحاليل والأشعات انتهت بأن عرفت أنه المرض اللعين ، وبدأت فى الذبول كما تذبل الوردة على عودها .. لكنى لم أفقد إيمانى بربى وسلمت بأنه قد قدر الله وكما شاء فعل ، ودخلت معهد الأورام وأنقذنى ملائكته قبل أن ينتشر المرض فى كل جسمى واستأصلوا جزءًا كبيرًا من أمعائى ، واستعضت عن عملية الإخراج الطبيعية بكيس من البلاستيك فى جانب البطن متصل بالأمعاء ويتم الإخراج عن طريقه ، ومازلت أتلقى العلاج بالإشعاع على فترات متباعدة لكيلا يرجع المرض مرة أخرى ، وقد تكفل المعهد بمعظم نفقات العلاج ، ويتولى والدى أكرمه الله بقية النفقات بالرغم من أنه فى السبعين من عمره ، وخرج إلى المعاش من السكة الحديد قبل ٥ سنوات ، ومازال يعمل بالقطاع الخاص لكى يلبى مطالب حياته ونفقات علاجى لأن معاشه وحده لا يكفى للإنفاق على أسرتين ، وقد كتبت إليك هذه الرسالة لا لكى أستدر عطف أحد أو أطلب مساعدته ، وإنما لكى أقول لك إننى مؤمن بالله رب العالمين ومتمسك بالحياة وبالأمل فى المستقبل وكل ما أريده هو أن يقرأ رسالتى هذه أحد أصحاب الأعمال الفضلاء ، ويتفهم ظروفى الصحية والنفسية فيمنحنى عملاً ملائمًا أرفع به عن كاهل أبى بعض العبء الذى ينوء به والذى بدأت صحته فى الاعتلال بسببه ، وبحيث يستطيع أن يستريح بعض الوقت ، وأستطيع أن أؤدى

رسالتى فى الحياة ، نحو ابنى وزوجتى والمجتمع .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

نعم يا صديقى قدر الله وكما شاء فعل ، فلا تعقيب على قضائه ، ولا اعتراض ، وإنما نتقبل أمره فينا راضين ، ونفر من قضاء الله إلى قدر الله . ونهتف بدعاء الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « رب اجعلنى لك شكارًا ، لك ذكّارًا ، لك رهابًا ، لك مطواعًا لك مخبتًا (خاشعًا متواضعًا) إليك أواهًا منيبًا . رب تقبل توبتى واغسل حوبتى «إثمى وهمى» وأجب دعوتى ، وثبت حجتى ، وسدد لسانى ، واهد قلبى ، واسلل سخيمة صدرى » .

وبعد فإنى أضع رسالتك تحت أنظار من يرجون الله واليوم الآخر من أصحاب الأعمال القاهريين .. وأرجو أن تسمح لى الظروف بأن أبشرك فى القريب العاجل بإذن الله بخبر تحقيق مطلبك العادل المشروع ، وقرب عودتك إلى ميدان الحياة مناضلاً فيه بشرف ومؤديًا رسالتك تجاه طفلك وزوجتك والمجتمع على خير وجه بإذن الله .



لماذا أنام ؟

هل تتذكر مشكلة (النوم) التى كتبها الزوج المؤلف المشغول دائمًا بعمله ويتهم فيها زوجته الفاضلة المخلصة المتفانية فى خدمة بيته وأولاده بالنوم؟ إن سؤالى له هو لماذا لم يسأل نفسه يومًا ما الذى يدفع زوجته لهذا السلوك ؟

إن لى نفس ظروف هذه الزوجة المطحونة نفسيًا وجسمانيًا ، فأنا متزوجة من عشرين عامًا وأحب زوجى وأولادى وليس لى سواهم فى الوجود .

وزوجى يعمل أستاذًا جامعيًا ، كل حياته وهمه هو كتابة المحاضرات والرسائل العلمية والقراءة ومشاهدة مباريات كرة القدم فى جميع المحطات المحلية والعالمية ، ويذهب إلى الجامعة يومين فقط فى الأسبوع وكل حياته هى حجرة السفرة التى لا ترى فيها سوى الكتب العلمية وليس لها أى استعمال آخر ، ولا أتمكن حتى من دعوة أحد على الطعام سوى فى رمضان وبعد إلحاح شديد أن يترك لنا جزءًا من غرفة السفرة للاستعمال .

إننى أرجع من عملى الساعة ٤ إلى تحضير الطعام وفى أحيان كثيرة لا يشاركنا زوجى حيث إنه مشغول بالكتابة أو مشاهدة مباراة . ثم أذهب إلى النوم وبعد ذلك أستيقظ لتحضير العشاء وتحضير أى شىء فى المنزل لليوم التالى ، أو إعداد شىء للأبناء ومساعدتهم ثم أذهب إلى النوم مرة أخرى للاستعداد لليوم التالى والاستيقاظ الساعة ٦.٣٠ صباحًا وهكذا .

ولم يسأل الزوج نفسه أبدًا لماذا أهرب إلى النوم ؟ إننى ألجأ إليه أولاً لأننى مجهدة ، وثانيًا لأن حياتى روتينية ولا أريد أن أترك زوجى الذى يشكو من الوحدة ولأننى يمكننى أن أكون مستيقظة فأذهب لزيارة أهلى وأصدقائى أو دعوتهم إلى المنزل أو دعوة أصدقاء أولادى ، أو قضاء اليوم فى النادى ، لكنى لا أريد أن أترك زوجى وحده بين كتبه فى المنزل ، وهو لا يدعونى مرة للغداء فى الخارج أو مع الأولاد أو قضاء نهاية الأسبوع فى مكان خلوى صحى ، رغم أن لنا أصدقاء كثيرين وهو يفضل المنزل والكتب .

فماذا أفعل يا سيدى سوى أن أذهب إلى النوم أو أقرأ القرآن أو الكتب فى السرير ، وهو ساهر بين المحاضرات والكتب ، وهل يريدنى أن أظل جالسة على الكرسى منتظرة له حتى الساعة ٢ صباحًا أو بعد ذلك كل يوم ؟ لقد رددت على كاتب رسالة النوم بأن زوجته تحتاج إلى مساعدة وفعلاً هى تريد مساعدة نفسية ، وتريد أى شىء يجعل للحياة

طعمًا آخر مع الزوج يستدعى الاستيقاظ وليس الهروب بالنوم ، بعد أن قامت بواجبها على أكمل وجه فليساعدنا الأزواج بالاهتام بنا وتخصيص الوقت الكافى لنا وبتجديد الحياة معنا لكيلا نهرب من ملل الحياة معهم وركودها بالنوم وشكرًا .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

كدت أن أنسى رسالة «النوم» القديمة حتى ذكرتنى بها رسالتك هذه .. ولأننى قد ذكرت فى تعليقى عليها كل ما يمكن أن يقال بهذا الصدد فإنى لن أعيد تكراره وإنما سأقول لك فقط إن «النوم» قد يكون فى بعض الأحيان نوعًا من الهروب النفسى من مواجهة الواقع ، كما قد تكون له أسبابه الأخرى ، ومن بينها «الكسل» الذى استعاذ منه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وقرن فى دعائه بينه وبين العجز والمرض ، لأنه إذا تجاوز حدوده الطبيعية فإنه يكون تعطيلاً لقدرة الإنسان على العطاء للحياة وقدرته كذلك على الاستمتاع بها ، وعلى أية حال فإن بعض الزوجات يتساقطن بالفعل صرعى فى نهاية يوم طويل مشحون بالأعمال الشاقة ، ويحتجن إلى الراحة الكافية .. وبعضهن على الناحية الأخرى مازلن يعتبرن النوم الكثير من علامات العز والجمال إحياء لذكرى شعراء العرب القدامى الذين كانوا يقرنون بين الجمال والسيادة ، وبين النوم الطويل الذى تتميز به السيدة دون الجارية حتى ليريد أحدهم أن يمدح جمال حبيبته فلا يجد أبلغ من أن يصفها بأنها «نؤوم الضحى» أى التى تنام كل يوم حتى الضحى فتنهض

موردة الوجه خالية من تجاعيد السهر وشقاء العمل ، والمهم دائمًا هو تحقيق التوازن بين احتياجات الجسم من الراحة والنوم وبين واجبات الزوجة تجاه زوجها وأسرتها وحياتها العائلية، ومادام زوجك لا يعترض على شيء فلا مشكلة هناك ، وإن كنت أرجوه أن يعدل بعض الشيء بين كتبه ودراساته وبين زوجته ، لكي يكون نومك احتياجًا طبيعيًا لجسمك ، وليس نوعًا آخر من الهروب وشكرًا .

★★★

موقف الاختيار !

أنا شابة فى مقتبل العمر نشأت فى كنف عمى بعد وفاة أبى وأمى فى حادث سيارة وقع لهما وأنا طفلة صغيرة ، فضمنى عمى إلى أسرته ووجدت لديها ما عوضنى عن أسرتى الراحلة ، ولم أشعر ذات يوم بأى تفرقة فى المعاملة بينى وبين أبناء عمى ، بل لعلى على العكس من ذلك ، شعرت مرارًا بتمييز عمى وزوجته لى عن أبنائهما وبناتهما ، بدافع اللطف والرحمة بمن فقدت والديها ، وهكذا مضت رحلة الحياة بى سعيدة هادئة ، وبعد أن التحقت بالجامعة ارتبطت فى

عامى الأول بها بزميل لى واستمرت علاقتى به طوال سنوات الدراسة وتعاهدنا على الزواج . ومنذ فترة فاتحت ابنة عمى - وهى صديقتى المقربة - برغبة زميلى فى التقدم لى ، فإذا بها تفاجئنى بأن شقيقها الأكبر يكن لى حبًا عميقًا نادرًا منذ سنوات ، وأنه صارح والده برغبته فى الاقتران بى فوعده بذلك وحثه على الاجتهاد فى الدراسة ليكون جديرًا بى .. وأنه استجاب لوالده واجتهد فى دراسته وتخرج وتقدم فى

عمله وصورتى كزوجة له تداعب مخيلته ، وفعل كذلك ذلك فى صمت ودون أن يشير لذلك معى بأية كلمة أو إشارة ، بل لقد كان على العكس من ذلك أكثر أفراد الأسرة تجاهلاً لى ونادرًا ما كان ينظر إلىَّ حتى خلال حديثه معى ، ولم تكتف ابنة عمى بما صارحتنى به ، وإنما أطلعتنى على ما كتبه من خواطر وأشعار فى حبى طوال السنوات الماضية ، وقرأته فشعرت بالزهو بنفسى لوجود إنسان كابن عمى يمنحنى فى صمت كل هذا الحب ، وتحسرت وتمنيت لو كان قد أظهر لى خلال السنوات الماضية شيئًا من هذا الحب ، إذن لما كانت عيناى قد رأتا فى الوجود إنسانًا غيره ، لكن ما الحيلة وقد كتم مشاعره عنى ورأت العين والقلب غيره خلال رحلة الحياة ؟!

لقد قضيت بضعة أيام وأنا ذاهلة .. فابن عمى هذا شاب دمث الخلق ومتدين وناجح فى مجاله وهو حلم لأية فتاة ، والأمر لا يتعلق بمشاعرى تجاه زميلى فقط ، وإنما يتشعب ويداخله شىء من الإحساس بالذنب تجاه ابن عمى ، إذا خذلته ، وبأبويه اللذين ربيانى وعوضانى عن أبى وأمى .. أيكون جزاؤهما منى أن أفجعهما فى ابنهما الذى يعتزان به ؟.. إننى حائرة .. وأسأل نفسى أيهما أحق بولايته على الزميل الذى كان نعم العون لى طوال سنوات تعارفنا؟.. أم ابن عمى الذى يحمل لى حبًا أكبر من أن أستحقه ، ويطوق رقبتى هو أسرته بجميل أقدس من أن أجحده .. فهل لديك مخرج لى من هذه الحيرة ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أكاد لا أصدق أن ابن عمك الشاب الذى تتمناه أية فتاة ، قد انطوى لك على كل هذا الحب العظيم طوال السنوات الماضية ، وإنه استمد من حبه لك القوة الدافعة للاجتهاد فى الدراسة ، والنجاح فى الحياة العملية ، وكل ذلك بغير أن تستشعرى ولو بالإحساس الغامض هذا الحب العظيم لك أو رغبته فيك ، وعفوًا فى تشككى فى ذلك لأن مثل هذا الحب الكبير لا يخفى على الأنظار حتى ولو لم يصرح به صاحبه ، ولهذا فإن أغلب الظن هو أنك لم تفاجئى به كلية حين صارحتك به ابنة عمك ، وإنما قد استشعرته من قبل ، لكن العين والقلب كما تقولين قد رأيا غيره !

فإذا صح ما استنتجته وربما تكونين قد تجاوزت أنت عنه تجملاً أو رعاية لمشاعر ابن العم ووالديه وإخوته ، فإنى أقول لك إنه لا حرج عليك فى أن تتجه مشاعرك إلى غيره وترغبى فى الاقتران به، كما أنه لا تعارض بين ذلك وبين وفائك لعمك وزوجته وأبنائهما ، ورعايتك لحقهم عليك ، فأنت فى النهاية بمثابة الابنة لعمك ، ولقد تختار الابنة الطبيعية لنفسها غير ما يرجوه لها الأب ، فلا يرى بحكمته ورحمته بها أن يرغمها على غير ما تريد ، ولست أحسب أن عمك وقرينته يرضيان لابنهما الذى يفخران به ، أن تتزوجيه أنت حرجًا منهما أو حفظًا

لجميلهما عليك .. ذلك أن هناك أكثر من وسيلة لرد الجميل والعرفان لهما ليس من بينها زواجك على غير رغبة حقيقية منك بابنهما ، كما أنك إذا فعلت ذلك فإنك لا تردين إليهما صنيعهما فى الواقع بل لعلك تسيئين إليهما به حين تحكمين على ابنهما بالتعاسة ومعاشرة من لم تكن ترغب فى مشاركته الحياة ، وليس ذلك مما يسعد أى أبوين أو يرجوانه لابنهما.

ففكرى فى الأمر كله وأنت متحررة من الربط الخاطىء بين العرفان لعمك وقرينته وبين ضرورة الارتباط بابنهما .. وتعاملى مع ابن عمك كشاب ممتاز يحمل لك حبًا عظيمًا صامتًا قد ترشحك الحياة للسعادة معه إذا تجاوبت مع مشاعره وبادلته حبًا بحب ، وقد ترشحك أيضًا للتعاسة معه إذا لم تولد شرارة الحب فى قلبك تجاهه ، وظل القلب متجهًا إلى شخص آخر ، وعلى ضوء ما سوف ينتهى إليه تفكيرك فى ابن عمك متحررة من هذا الربط الخاطىء .. وبعد اختبار مشاعرك تجاهه ، وتجاه الزميل الآخر ، سوف ينتهى بك الاختيار إلى أحدهما دون الآخر فإذا اخترت ابن عمك فليكن ذلك أساسًا لشخصه وسجاياه ومزاياه وحبه العظيم لك ، واستعدادك النفسى للتجاوب العاطفى معه .. وليس فقط عرفانًا لأبويه بجميلهما عليك لأنهما أول من يعفيانك من التعبير عنه بهذه الوسيلة التى لا تسعدهما ، وإذا كان من تختارينه هو زميلك

فلست فى هذه الحالة فى حاجة إلى الاعتذار عن هذا الاختيار لأحد لأنها حياتك ومشاعرك .. وحقك المشروع فى اختيار شريك العمر ، وسوف يكون عمك العطوف هذا هو أول من يعينك على إتمام الزواج منه بحب الأب الرحيم على ربيبته .. وفهمه الصحيح لواجبه الإنسانى تجاهها .. والسلام .



نداء البراءة !

أكتب لحضرتك الجواب ده وأنا خايف من بابا لأنها أول مرة أعمل حاجة من غير ما يعرف ، فأنا زعلان منك لأن بابا أرسل لك مشكلته مع ماما، وحضرتك قلت له أن يطلق ماما ، وبابا أحضر الجريدة وأنا قرأت الحكاية وكان مكتوب عليها «سر التحول» وبابا لا يكذب وأرسل لماما ناس كتير علشان ترجع ، وماما مش راضية خالص وتركتنى أنا وأخويا الصغير كل هذا الوقت مع بابا ، وهو تعب جدًا معانا وكان بيودينا المدرسة ويعمل أكلنا ويغسل ملابسنا وراح لشيخ فى الأزهر وقال لبابا لايطلق ماما . لكن حضرتك قلت له يطلقها ، وفعلاً سمع الكلام وعمل كده ، واحنا أنا وأخويا كنا زعلانين جدًا لأننا قلنا إنه يمكن ماما ترجع تانى ، لأن بابا مش بيعمل حاجة تزعل ماما وبيحبنا كلنا ، وبابا كان مستنى ومش راضى يطلق ماما ، ولما قلت له يطلقها وافق بعد شوية ، فليه حضرتك قلت لبابا يعمل كده . مش

يمكن ماما توافق فى يوم من الأيام إنها ترجعله ، لأن مفيش حاجة وحشة حصلت من بابا ، وأكيد ماما بتحبنا وكانت هتوافق فى يوم من الأيام إنها ترجعله وبابا كان بيحاول معاها كتير، ودلوقت أنا عايز حضرتك تكلم بابا وماما وتقول له يوافق لما ترجع ماما ، لأنه كان قال إنه إذا طلقها لا يوافق على رجوعها تانى ، وهو بيسمع كلامك ، وهمه الاتنين كويسين جدًا وبيحبونا جدًا ومفيش حاجة وحشة حصلت بينهم تخليهم يعملوا كده ، واحنا مالناش ذنب وبنحبهم والمدرسة قربت ومش عايز نتعب وبابا يتعب تانى زى السنة اللى فاتت ، وأنا جبت مجموع كويس وأخويا كمان نجح ولو بابا وماما رجعوا تانى هنذاكر أكتر ونجيب درجات أحسن ، وبابا وماما بيصلوا وبيقروا القرآن وبابا كل يوم يروح يصلى الفجر واحنا نايمين وهو بيحبنا وبابا هيعمل لنا الشقة الجديدة وهنبقى فرحانين وهو هيسمع كلامك بس حضرتك قول لبابا وماما، بس قول لبابا ، وماتقولش له إننى بعت لك علشان مايزعلش وأرجو حضرتك تكون فهمت الحكاية من كلامى لأنى شاطر فى كل المواد لكن موضوعات التعبير صعب شوية على ، وإذا لم تعرف الحكاية احضر الجورنال اللى كتبت فيه الحكاية وانت تفتكر لأنى سألت بابا عن حضرتك فقال إن كل الناس اللى عندها مشكلة بتبعت لك فيمكن تكون ناسى المشكلة بتاعتنا ومتشكر جدًا أنا وأخويا إنك هترجع لنا بابا وماما ونعيش مع بعضنا تانى وشكرًا.

ولكاتب هذه الرسالة المؤثرة أقول :

رجعت إلى رسالة أبيك التى نشرت فى ١٢ فبراير الماضى ، فوجدته لم يقصر فى محاولة الحفاظ على حياتكم العائلية ، ولم يضن بأى جهد فى محاولة إقناع والدتك بالعودة إليكم ، وأنه قد احتمل صابرًا هجرها له ولكما طوال ٥ أشهر ، وإصرارها النهائى على طلب الطلاق حتى لقد هددته بالانتحار إن لم يستجب لرغبتها ، وحتى رجتك وأنت الصبى الذى لا يبلغ من العمر سوى ١٥ عاما وأخاك الطفل الذى لا يزيد عمره على سبع سنوات أن تقنعا أباكما بطلاقها ، وإلا فإنها سوف تنتحر وتعيشون جميعًا بذنب دفعها للانتحار ، فماذا عسانى كنت أستطيع أن أقول له يا ولدى وهى تصر على الانفصال عن أبيك إلى هذا الحد ، وبعد أن فشلت كل الجهود والمساعى فى إقناعها بالعدول عن الطلاق والعودة إليكم ، بما فيها جهود رجل الدين الفاضل الذى أشرت إليه .

لقد رأيت له بعد أن استعرضت معه كل هذه الظروف ، أنه لا مفر له فى النهاية من الاستسلام لرغبتها بصفة مؤقتة لأن قيمنا الدينية والأخلاقية تنهانا عن أن يمسك الرجل امرأة تأبى الحياة معه على غير إرادتها ، حتى ولو كرهنا نحن ذلك وتضررنا منه أشد الضرر ، ولأن الاستجابة لمطلبها دون تعنت قد تفتح الباب أمامها فى المستقبل لمراجعة نفسها والتفكير فى مصير أبنائها وحقوقهم عليها ، فتهدأ النفوس بعد

حين ويتجدد الأمل فى الإصلاح ، ذات يوم قريب ، فإذا كان والدك قد استجاب لهذا الرأى الذى أتردد ألف مرة قبل أن أنصح به أبا لأطفال صغار مثلك ومثل أخيك ، فلأنه كان قد يئس تمامًا من أى أمل فى الإصلاح بينه وبينها ومن أى رجاء فى عودتها إليكم ، وما كان لمثل رأيى أن يؤثر فيه لو لم يكن قد اقتنع اقتناعًا نهائيًا أنه لا جدوى لأى محاولة لاستعادة زوجته إليه وإلى ولديها .

ولقد روى فى رسالته أنه كثيرًا ما بكى أمامك وأمام أخيك الصغير، من إحساسه بالقهر والحزن واليأس من استعادة أمكما ، فماذا كان يستطيع أن يفعل والدك يا ولدى لكى يستعيد إليكما أمكما . أكثر مما فعل ؟ وماذا كان بمقدوره أن يفعل أمام إصرارها النهائى على الانفصال عنه ؟ فإن كنت تتخوف من أنه سوف يرفض عودتها إليكما إذا قبلت هى بها لأنه كان قد أكد أنه إذا طلقها فلن يعيدها إلى عصمته مرة أخرى ، فلقد قال ذلك فقط لكيلا تستسهل والدتك الطلاق وعلى أمل أن يدفعها ذلك الوعيد إلى مراجعة نفسها ، واستشعار ما سوف يعانيه ولداها بسببه فترجع عنه ، لكنى على ثقة من أن قلبه الذى مازال ينبض بحبك وحب أخيك لن يسمح له بالتمسك بهذا الوعيد إذا لمس من أمكما أى بادرة استعداد للعودة إليكم فهو أب رحيم بأبنائه ولقد كان زوجًا محبًا لزوجته ومتفانيًا فى استرضائها ، وأحسبه بالرغم مما حدث مازال كذلك ، ومثل هذا الأب العطوف لا يرفض عودة أم ابنيه إليه إذا هى رغبت فى ذلك .

فإذا كنت تريدنى أن أتحدث إلى أبيك فى ذلك فإنى على أتم استعداد لأن أفعل ذلك بلا تردد ، كما أنى على استعداد أيضًا لأن أتحدث إلى والدتك فى أمر عودتها إليكم ، لكنى أرجوك فقط فى أن تستأذنها لى فى الاتصال بها تليفونيًا لأنى لا أفضل أن أحدث أحدًا عن حياته الشخصية ما لم يأذن لى بذلك ، وإن كانت رسالتك الصادقة هذه أبلغ من أى كلمات أستطيع أن أقولها لها ، وأقدر على تصوير عمق احتياجك واحتياج أخيك إلى أمكما وإلى الحياة العائلية الهادئة التى حرمتما منها .

وإنى لأدعوها إلى قراءة هذه الرسالة ألف مرة وتأمل معانيها واستشعار ما تعكسه من حيرة صبى فى الخامسة عشرة من عمره : وإشفاقه على نفسه وعلى أخيه الطفل من غياب أمهما عن حياتهما ، وحلمه الحسير بأن ترجع الأيام الهانئة التى كان يعيش فيها مع أخيه فى ظلال أبوين يجمع بينهما سقف واحد .

إنها رسالة تفتت الحجر ولو كان صلدًا ، وأسألها بعد ذلك : أى شىء فى الحياة يستحق أن تحرم من أجله هذا الصبى الحائر وهذا الطفل الصغير من الأمان والاستقرار ، ودفء وجود الأم فى حياتهما ؟ نعم أى سبب يا سيدتى يمكن أن يصمد لمثل هذا النداء البرىء من طفليك ولو كانت لديك كل أسباب الدنيا للانفصال عن أبيهما ؟

أما أنت يا صديقى الصغير فلا تخش شيئًا من غضب أبيك منك لأنك قد كتبت إلى دون علمه ، فهو لن يغضب أبدًا منك وإنما سوف يقدر لك حبك له وإشفاقك عليه مما يتحمله من عناء وحده فى رعايتكما ، ولسوف يزداد حبًا لك وعطفًا عليك كعهده معك ومع أخيك ، فإذا كان فى رسالتك ما سوف يحزنه - دون أى غضب منك - فهو ما تصوره من حيرتك أنت وشقيقك وافتقادكما لأمكما وأملكما المحروم فى عودتها إليكما .. وكل ذلك لا ذنب لك ولا لأخيك فيه ولا جريرة والسلام .



الفكرة الملحة !

مشكلتى غريبة وفيها اعتراف منى بشئ لا أعرف له سببًا ، ولا أستطيع الفكاك منه أو منعه ، لذلك فلقد لجأت إليك لتجد لى حلاً لما أعانيه من هذا العذاب الدائم .. فأنا فتاة جامعية خريجة إحدى كليات القمة ، وعمرى سبعة وعشرون عامًا ، ولم أتزوج حتى الآن . ولست منشغلة بالزواج أو عدمه ، فلقد تقدم لى كثيرون ولكنى أرفضهم لبعد مستواهم عنى سواء المستوى المادى أم العلمى والثقافى أم الاجتماعى ، وعلى أية حال فإنى لم أكتب لك من أجل ذلك ،

وإنما لشئ آخر أعانيه وأشعر بأنه ليس بيدى .. ولا تتعجب حين أعترف لك به وأقول لك إننى حاسدة .. نعم يا سيدى أنا حاسدة بكل ما تعنى هذه الكلمة !

فلو أن أحدًا بيده كوب من الشاى يشربه ونظرت إليه مليًا ، وقلت فى نفسى ما أجمل هذا الكوب فإنه ينكسر فورًا بأى طريقة !

ولـو أننـى رأيـت امرأة ترتـدى قرطًا أو عقـدًا من الألماس أو اللؤلؤ الثمين ونظرت إليها وانبهرت وقلت فى نفسى ما أجمل هذا القرط أو العقد فإنه قد ينفرط فورًا ، ويضيع تحت الأقدام !

حتى أن أبى رحمه الله حينما اشترى عربة جديدة غالية الثمن جدًا ، ورأيتها فنظرت إليها وأبى بداخلها ، وقلت ما أجملها فى نفسى وانبهرت جدًا بها ، فلم يكد أبى يتحرك بالعربة إلى الشارع الرئيسى الواسع حتى جاءت سيارة وصدمت العربة . وبعد حادث السيارة أصبحت لا أذهب إلى مكان إلا وتحدث به مصيبة .

وقد بدأ عدد من الأقارب والمعارف يستاؤون من زيارتى لهم أو من رؤيتهم لى ولو حتى مصادفة .

وحقيقة إنهم لا يواجهوننى بذلك مباشرة .. لكننى فهمت من تصرفاتهم معى ، أنهم لا يرحبون بى ويفضلون عدم رؤيتى .

إننى كما قلت جامعية ومثقفة ، لذلك لم أسكت ولم أقف مكتوبة اليدين ، وإنما أحضرت كتبًا كثيرة فى علم النفس تتحدث عن الحسد وأسبابه ودوافعه وكيفية التغلب عليه ، ولكن بلا فائدة ، بل إنه من المضحك وشر البلية ما يضحك ، هو أننى كثيرًا ما أحسد نفسى .. فلقد اشتريت فستانًا جديدًا رائعًا ، وأخذته من البائعة ، وكان آخر فستان عندها . وأسرعت إلى منزلى سعيدة جدًا به وارتديته أمام المرآة فى

حجرة النوم . وقلت فى نفسى ما أجملك وأنت ترتدين هذا الفستان الرائع ثم خرجت من حجرة النوم لكى ترانى به أمى .. فاصطدمت بأخى الأصغر وانسكب كوب الشاى على الفستان الجديد .

إننى فى جحيم ، فهل أجد عندك حلاً لمشكلتى الغريبة هذه .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

الحسد يا آنستى هو تمنى زوال النعمة عن الآخرين ، وبهذا المفهوم فإن الإعجاب بالأشياء وإطراءها ليس من الحسد المذموم فى شىء .

ولهذا فإنه يخيل إلى أنك تبالغين فى اتهام نفسك بسوء الطوية وتحملينها مسئولية ما تتعرض له بعض الأشياء من تلف عارض ، عقب إعجابك الداخلى بها ، ولا شك أن ما ترويين عنه إنَّما هو من قبيل المصادفات التى لا تصنع قاعدة ، ولا يمكن أن تجعل منك سببًا حقيقيًا لإتلاف هذه الأشياء .. إذ ما هى العلاقة السببية - وأنت الجامعية المثقفة - بين نظرك إلى كوب من الشاى ، وتحطم هذا الكوب بعد قليل لتلف فيه أو من أثر الحرارة ؟ وما هى العلاقة السببية بين إعجابك بعقد من اللؤلؤ وانفراطه كما قد يحدث كثيرًا فى حضورك أو غيابك ، ولماذا تكون الأشعة الصادرة عن عينيك وحدها هى المسئولة عن ذلك ، وليست أعين الآخرين ؟

إننى أتهمك بالتطير من نفسك ، وهذا أمر خطير حقًا .. ويمكن أن يؤثر حقًا على تواصلك مع الآخرين .. وأطالبك بتعديل أفكارك عن

نفسك وإعفائها من أية مسئولية عما يصيب الأشياء من تغيرات عارضة لا شأن لك بها ولا مسئولية لك عنها .

فهذه الفكرة المسيطرة عليك هى من قبيل الوساوس القهرية التى تلح عليك رغمًا عنك ، وقد يكون لها أسوأ الأثر على حياتك الاجتماعية .. والفكرة القهرية التى تلح على الإنسان هى غالبًا فكرة ضلالية أى خاطئة ولا منطقية .

وعلى أى حال فإنك تستطيعين الاستعانة على هذه الفكرة القهرية بخبرة الطبيب النفسى المتخصص ، كما تستطيعين أيضًا أن ترددى كثيرًا فيما بينك وبين نفسك هذه العبارة من دعاء الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه : « .. وسدد لسانى ، وأهد قلبى ، واسلل سخيمة صدرى » ، وسخيمة الصدر - كما فى المعجم الوسيط - هى الحقد والضغينة ، والأفكار السلبية التى تراود النفس فتضيق بها .



حق النقد !

أنا سيدة فى الثلاثين من عمرى حاصلة على مؤهل عـال ، ومتزوجـة منـذ سـت سـنوات زواجًـا متكافئـًا ومبنيًا على الحب الهادئ وعنـدى طفـلان (٣سـنوات وسنة) . ولقد بـدأنا أنـا وزوجـى حياتنـا الزوجيـة مـن الصفر ، فلم يكن لدينا أغلب الأجهزة الكمالية وبدأنا فى شقة صغيرة متواضعة وكافحنا معًـا حتـى استطعنا والحمد لله الانتقال إلى شقة أكبر وتأثيها بمستوى جيد . والمشـكلة هـى أنـى قبـل الـزواج كنـت أهـتم بنفسـى ومظهرى جدًا لأنه كان عندى الوقت الكافى لذلك .

وأيضًـا المـال ولم أكـن أحـس بمسئوليتى فـى أن أشـارك زوجـى فـى تحسين مستوى معيشـتنا ، فكنـت أصرف مرتبـى علـى الملابس والمظهر بصفة عامة مثل أى بنت فى سنى ، أما بعد الزواج فكنت أشعر بأن بيتنا أحـق منـى بكـل مرتبـى فأضـع مرتبـى علـى مرتـب زوجـى لكـى نسـدد

الأقساط التى علينا ، كما أن طفلىَّ الآن يحتاجان منى لمجهود جبار ، وخصوصًا أن زوجى يترفع عن أن يساعدنى فى أى شأن من شئون البيت ، أو الأطفال فكل مهمته هى العمل وإحضار النقود وهو بعد ذلك غير مسئول عن عمل أى شىء فى المنزل حتى عندما كنت أشعر بالتعب أو المرض ، وأحتاج إلى الراحة قليلاً كنت أشعر أن زوجى يتضايق ليس لأنى أتألم ولكن لأنه مضطر للقيام بشئون الطفلين ورعايتهما ، ورغم كل هذا المجهود فزوجى ينتقدنى دائمًا لأنى لا أهتم بمظهرى ، ولأننى لا أستطيع التجاوب معه عاطفيًا لأنى فى آخر اليوم بعد أن ينام طفلاى أشعر بتعب شديد ، وأحتاج إلى أن أنام لكى أرتاح من هذا المجهود الذى لا يكلف نفسه أن يساعدنى فيه رغم أنى أعمل مثله ، وأيضًا لأنه بخيل جدًا فى إظهار مشاعره نحوى وكل ما أجده منه هو النقد الدائم فكيف بربك ينتظر منى أن أهتم أنا باحتياجاته العاطفية وأكون معه مثل أيام الخطوبة .

إننى أرجو أن توجه كلمة إلى الأزواج لكى يراعوا مشاعر زوجاتهم ، فالزوجة تحتاج إلى الكلمة الحلوة والمشاعر الطيبة من الزوج مثلما يحتاجها هو ، وتحب أن تشعر بأنها مرغوبة ومحبوبة منه ليس فى فترة الخطوبة فقط لأن المسئولية تزداد والمجهود المطلوب منها أكبر وتحتاج لمساندة زوجها لكى تستطيع الاستمرار .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

إذا كان الثناء المستمر والزائد على الحد يدير الرؤوس ويسرب الغرور الأحمق إلى بعض العقول ، فإن الانتقاد الدائم لا يقل خطرًا على المرء منه ، لأنه يغرس الإحباط فى النفس ويقعد الهمة عن محاولة الإصلاح أو السعى لطلب الكمال ، ولا عجب فى ذلك ما دام المرء لن ينجو من النقد مهما حاول أو فعل ، ولا غرابة أيضًا لأن أبسط ما يحققه الانتقاد المستمر بحق وبغير حق من شريك الحياة لشريكه هو أنه يفقد معناه لدى من يتعرض له .. بسبب التكرار والاعتياد فيضيع أثره ولا يخلف وراءه إلا المرارات والضغائن ، فضلاً عن أنه قد يصبح عادة قهرية لمن يمارسه.. فيجد نفسه مدفوعًا لانتقاد كل فعل - وإن رضى عنه فى أعماقه ولازدراء كل تصرف وإن لم يكن حانقًا عليه حقيقة ، أو إلى هذا الحد فى واقع الحال ، لهذا فإن من واجب الإنسان أن يقاوم فى نفسه هذه العادة القهرية التى تميل به نفسيًا من حيث لا يدرك ذلك للمسارعة بانتقاد الغير ، وعدم التحفظ فى ذلك أو التروى فيه ، ومن المفهوم لدى كثيرين أن ممارسة النقد المستمر للآخرين إنما تنطوى على جانب خفى هو إحساس المنتقد بشىء من الاستعلاء النفسى أو العقلى على من يوجه إليه سهام نقده المتصل ، فكأنما يقول لنفسه بانتقاده الدائم للغير إنه أفضل منهم ، فليمارس كل منا إذن حق النقد لشريك حياته ، أو للآخرين عند الضرورة باعتدال شديد وتحفظ أشد ، لكى

تبقى لهذا النقد قيمته ويحقق أثره المرجو منه ، ولكن أسرع إلى الشكر والاعتراف للآخرين بفضائلهم وجهودهم وعطائهم منا إلى نقدهم وجحد فضلهم واتهامهم بالتقصير ، وإلا فلن يفيد النقد شيئًا إذا استشعر الغير آفة الاستعلاء العقلى فيه ، أو شبهة العادة القهرية والاستنامة إليه باعتباره الأيسر على اللسان من غيره .

أما نداؤك للأرواج بمراعاة مشاعر زوجاتهم وعدم البخل فى التعبير لهن عن المشاعر الطيبة ، فهو نداء عادل أؤيدك فيه كما أؤيد كذلك كل نداء يدعو الزوجة لمبادلة زوجها هذا التعبير عن المشاعر ، ولبذل جهدها لتحقيق المعادلة الصعبة بين الاهتمام بشئون الأطفال والبيت ، وبين الاهتمام بنفسها والتجاوب العاطفى مع زوجها .. وشكرًا لك .



الوصمة !

ونحن على أبواب قرن جديد .. نتطلع إلى الكثير والكثير ونحلم !! ونحلم !! وفى غمرة أحلامنا نسينا أو تناسينا بناتنا الصغيرات (المطلقات) إذ أن من حقهن أن نحلم لهن ومعهن ونحقق لهن بعض آمالهن وطموحاتهن .. فماذا أعد لهن قانون الأحوال الشخصية ؟؟ ماذا أعد لفتياتنا الصغيرات اللاتى صدمن فى بداية حياتهن الوردية بشئ بغيض إلى الله ، وإلى الناس ، وإليهن وهو الطلاق ؟

إن معظم المطلقات حاليًا فتيات فى عمر الزهور ، لم يعشن حياتهن كما كن يحلمن بها ، وكما يتناسب مع شبابهن وجمالهن ومعظمهن خرجن من هذه التجربة بطفل أو بأطفال ..

ولا ذنب لهن ولا جريرة فى ذلك !! فقد وجدن أنفسهن متزوجات فى سن صغيرة ، متزوجات باللفظ فقط فلا هن أدركن معنى الزواج ، ولا هن حققن بهذا الزواج السعادة التى كن ينشدنها.

وهكذا خرجن من التجربة مهيضات الجناح .. مكتئبات يحرم عليهن أن يمارسن حياتهن العادية كما يمارسها غيرهن .

والأهم من ذلك كله أن كلمة (مطلقة) تظل تلاحقهن فى كل مكان.. عند استخراج بطاقة شخصية ، أو عند استخراج جواز سفر ، أو عند تسلم العمل فى أى وظيفة ..

وإذا سمحت لهن الظروف بالزواج مرة أخرى تكون الطامة الكبرى .. فعقد القران يتم حاليًا بالمسجد فى حضور كثيرين والمطلوب من المأذون أن يطلع على قسيمة الطلاق من الزوج السابق ، ويسمع الكثيرون ويشهدون بما يقال بين الزوج ووالد الفتاة من عبارة مثل زوجتك ابنتى (الثيب) .. ولابد من إثبات ما يفيد أنها مطلقة وسبق لها الزواج فى قسيمة الزواج ، فهل نسى مشرعو الأحوال الشخصية هذه الحالة ؟!

ألا يوجد مخرج لهؤلاء الفتيات ؟! وبدلاً من أن تظل هذه (الوصمة) تلاحقهن إلى ما لا نهاية فى العمل وفى كل مكان ، إذا لابد من تقديم القسيمة فى كل من عمل الزوج والزوجة ؟

وما أدراك ما يحدث عندما يطلع هؤلاء على هذه القسيمة !!

إننا نرجو ونلح فى الرجاء نحن الأمهات أن يقف مشرعو الأحوال الشخصية فى صف هؤلاء الفتيات .. ويحاولوا استبدال الكلمات الجارحة بأخرى غير جارحة مثل (غير متزوجة) مثلاً فى البطاقة

الشخصية أو جواز السفر ، وكذلك فى قسيمة الزواج الجديد مادام المأذون قد اطلع على قسيمة الطلاق السابق ، ومادامت جميع البيانات مسجلة فى السجلات الرسمية.

نأمل ذلك ونسأل الله أن يهدينا جميعًا سواء السبيل .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

إذا كان حل المشكلة التى تعتبرينها «كالوصمة» بالنسبة لبعض الفتيات سيئات الحظ فى الزواج الأول ، هى فى استبدال كلمة «غير متزوجة» بكلمة «مطلقة» فى بيانات الأحوال الشخصية وجواز السفر ومسوغات العمل ، فلا بأس بذلك ، رعاية للمشاعر إذا لم يترتب عليه متاعب جديدة لأطراف القضية ، وأقر المشروعون وجاهة ذلك ، لكن يمكن تفادى ذلك فى صيغة عقد الزواج التالى ومن شأنه إثبات حالة الزوجة عند الزواج بكرًا كانت أم ثيبا اللهم إلا إذا اعتبرنا عبارة «غير متزوجة» ترجمة رقيقة لكلمة «مطلقة» وتم التعامل بها على هذا الأساس فى كل الأوراق الرسمية ، على أية حال فإنى أنشر رسالتك لما تعكسه من وجهة نظر أم مشفقة على ابنتها من وقع كلمة «مطلقة» عليها حتى ولو كنت أختلف معك فى اعتبار ذلك «وصمة» لمن لم يصادفهن التوفيق فى زواجهن .. وشكرًا لك .



القذائف النارية !

أنا شاب فى التاسعة والعشرين من عمرى أعمل بوظيفة جيدة بإحدى الدول العربية ، وأنا الابن الوحيد لأب رحل عن الحياة منذ تسع سنوات ، ولى ٤ شقيقات تزوجت اثنتان منهن والأخريان فى سن الشباب ، ووالدتى على قيد الحياة ، ومشكلتى هى أننى قد اختارت لى أقدارى أمًّا متسلطة لأقصى درجات التسلط ، وتعانى حب التملك والسيطرة وشراسة اللسان ، ولقد كانت فى وجود أبى تستمتع بتنغيص حياة فلذات أكبادها ، وتمارس علينا ضغوطًا رهيبة وتتلذذ باستثارة أبينا ضدنا فيقوم - رحمه الله - بعقابنا أشد العقاب دون تحقيق أو تمحيص ، وكانت النتيجة أن خرجنا إلى الحياة فاقدى الثقة فى أنفسنا وفى كل شىء ونعانى الإحساس بعدم الأمان ، وبالخوف من المستقبل ومن الآخرين ، وكان لى النصيب الأكبر من هذه الأحاسيس والمخاوف لأننى الابن الأكبر .

ولقد كان أبى يتحمل مسئوليته عن حياتنا بصعوبة لقلة دخله .. ولمعاناته المستمرة مع أمى وخلافاته اليومية معها التى كانت أمى تتجاوز فيها كل الحدود ، وتطلق قذائفها النارية فى كل اتجاه ، ورحل أبى عن الحياة وأنا فى عامى الجامعى الأخير ، وسترنا الله حتى تخرجت فى الجامعة ، وأصبحت وأنا فى الحادية والعشرين من عمرى رب الأسرة المسئول عنها والزوج والابن والأخ لكل أفرادها ، وخلت الدنيا من حول أمى ممن كانت تنغص عليه حياته كل يوم حتى اللحظة الأخيرة من عمره وهو أبى ، ولم تجد أمامها سواى فراحت تفرغ فىَّ كل طاقتها على الشجار والعناد والخلاف ، وبدأت المشاحنات والمشاجرات التى تنتهى دائمًا بإطلاق القذائف وصب اللعنات علىَّ وعلى شقيقاتى بالرغم من تحملى لمسئولية البيت بالكامل وعدم تقصيرى فى أى شىء ، حتى أصبح خروج أية شقيقة لى من بيتنا بالزواج إنقاذًا لها من الجحيم الذى يعيش فيه إخوتها ، وبعثًا لها من جديد ، ولقد خرجت اثنتان فودعتهما أمى بحفلات النكد والخصام واللعن والسباب فى ليلة زفاف كل منهما .

أما أنا فلقد توزعت حياتى بين الكفاح من أجل الحفاظ على كيان الأسرة وتجهيز البنات وبين بناء مستقبلى ، وكان هاجسى الدائم هو من تكون تلك الإنسانة التى يمكن أن تشاركنى حياتى ، وتتحمل أمى وقدرتها على إشعال النار فى قلب أكثر البشر برودًا بقذائفها الملتهبة

التى لا ينجو منها أحد ؟ وبسبب هذا الهاجس الدائم عزفت عن الارتباط بأية فتاة خوفًا من هذه المواجهة المرتقبة .

وبعد أن استقرت أحوالى المادية ، وأمضيت عدة سنوات فى الغربة بدأت أبحث عن هذه الإنسانة « النادرة » التى يمكن أن تحقق لى المستحيل فترضينى ، وتنجح فى إرضاء أمى التى يعجز عن إرضائها أى بشر .

ثم تعرفت على فتاة من نفس مستواى الاجتماعى وأحببتها وتقدمت لخطبتها وتمت الخطبة وعدت لمقر عملى وكلى أمل فى أن تحدث المعجزة ويتم الزواج ، ولكن هيهات أن تخيب الهواجس والتوقعات ، فلقد دبت الخلافات الشديدة ، وراحت أمى تطلق سهامها المسمومة وتوقع بينى وبين خطيبتى بمنتهى الدهاء ، وقوبل ذلك بردود فعل عنيفة من جانب خطيبتى وأسرتها ، ونجحت أمى بذكائها وبغباء أسرة خطيبتى فى الإجهاز على الحلم الوليد ، واستسلمت أنا لأقدارى وعانيت طوال ستة أشهر الانهيار النفسى بغير أن ترحم أمى عذابى أو تقدر مشاعرى ، وكان يوم إرجاع أسرة خطيبتى للشبكة يوم فرح وسرور بالنسبة لها !

ثم بدأت فى غربتى ووحدتى أشعر تجاه أمى بمشاعر سلبية كريهة ، وتفجرت فى داخلى مكامن الغضب المكبوتة فى أعماقى طوال رحلة العمر ، وشعرت بأنها قد دمرت حياتى بالرغم من رجائى لها ألا تتدخل فيها ، وألا تسعى لتدميرها .. فكان أن دمرتها كما دمرت

حياة شقيقاتى ومازالت ، وإذا بى أشعر برغبة جامحة فى مقاطعة أمى مع استمرارى فى إرسال النقود إليها .. ونفذت هذه الرغبة الجامحة ولم أعد أكتب لها أى خطابات أو أتصل بها من غربتى تليفونيًا وتولدت لدى رغبة فى أن أحرمها منى كما حرمتنى من سعادتى ، ولست أقصد بذلك أننى أريد العودة لخطيبتى التى تخلت عنى بمنتهى السهولة ، ولم تحاول الوقوف إلى جانبى ومساندتى ، وإنما أقصد « سعادتى » التى ستظل تحرمنى منها مادامت مستمرة فى أسلوبها معى ومع الجميع . إننى أعلم الآن أنك تنقم علىَّ لهذه العبارات القاسية عن أمى لكننى ضحية لظروف لا يد لى فيها .. كما أننى الآن فى مرحلة شذوذ عاطفى قلبت حياتى رأسًا على عقب ، وأشعر بحاجتى إلى من يشير على وينصحنى ماذا أفعل مع أمى التى لا هدف لها سوى إخضاعنا كأبناء لها وإذلالنا وتدمير معنوياتنا .. إننى أرجو ألا تنصحنى بالصبر وانتظار الفرج لأننى انتظره منذ وعيت للحياة .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

لو أننى نشرت كل ما ذكرته فى رسالتك الكريهة هذه عن والدتك لحق لك أن تتوقع منى ما هو أكثر من النقمة عليك لمشاعرك السلبية تجاهها .. لكنك على أية حال تدرك أنك الآن فى مرحلة « شذوذ عاطفى » وأن هذا الشذوذ يعنى الخروج على المألوف من مشاعر الإنسان السوية ، ومن شذوذ العواطف بالفعل أن يحمل الإنسان مشاعر الكراهية لأمه أو أبيه أو شقيقه ، لأنها أحاسيس مضادة للفطرة

التى فطره الله سبحانه وتعالى عليها . إذ قد «يغضب» المرء من أبيه أو أمه أو شقيقه أو أخته لبعض الوقت ، وقد يأخذ على أحدهم ما يراه افتئاتًا عليه أو تقصيرًا فى حقوقه أو إساءة له .. لكن هذا الغضب لا يتفاعل فى أعماقه فيستحيل إلى كراهية متأصلة تجاه أحدهم أبدًا ، وهيهات لإنسان ينطوى على مثل هذا الإحساس البغيض تجاه أمه أو أبيه أو أحد أشقائه ، أن يحيا حياة طبيعية ، أو أن يكون قادرًا على حب الآخرين والعطاء لهم . فضلاً عن أن الإنسان لا يسعد بحياته أبدًا وأعماقه تضطرم بمثل هذه المشاعر الكريهة تجاه من أمره الله بالرفق بهما ولو «ظلماه» كما هدانا إلى ذلك الهادى البشير صلوات الله وسلامه عليه .

لهذا فإننى لن أنصحك بالصبر على ما تلاقيه من والدتك ، ولا بانتظار «الفرج» الذى لا يعنى للأسف فى مفهومك سوى شىء أكثر بغضًا ، وإنما سأنصحك فقط بأن تكون إنسانًا سويًا يغضب من أمه أو يكره منها سلوكها وتصرفاتها ، لكنه لا يكرهها هى نفسها أبدًا ولو ظلمته ولا يقاطعها إنسانيًا ولا يحرمها منه ردًا على ما يراه هو من وجهة نظره مسئوليتها فى فشل ارتباطه بفتاة أراد الارتباط بها .

ونحن على أية حال نستطيع أن نتعامل مع من لا مفر لنا من التعامل معهم بمشاعر الرحمة ، إن عجزنا عن التعامل معهم بمشاعر الحب ، وبإحساس الإشفاق عليهم من شر أنفسهم ، إن عجزنا عن التعامل معهم بإحساس الاعتزاز بهم ، كما أننا نستطيع فى آخر المطاف إن

خلت قلوبنا حتى من الحب والرحمة والإشفاق ، أن نتعامل معهم بحيادية فى المشاعر ، فنؤدى واجبنا تجاههم .. ونتفادى أشواكهم .. ونتحفظ فى إبداء المشاعر السلبية تجاههم .. أما الإفاضة فى الحديث عن المشاعر البغيضة تجاه من أمرنا الله بمحبتهم ورعايتهم والبر بهم فليس من الإيمان ، ولا هو من الصحة النفسية فى شىء .. ولقد أحسن الله بنا أن أعفانا من الحساب على مشاعرنا السلبية تجاه الآخرين ما لم تتجاوز الصدور ، وتتحول إلى أفعال وتصرفات تسىء إليهم ، فأعف نفسك أيها الشاب من هذا الإثم العظيم .. وصل والدتك كما كنت تصلها من قبل ، وتعلم درس تجربتك السابقة فى هذه الخطبة الفاشلة ، وحاول أن تبدأ مشروعًا جديدًا للارتباط لا تدع فيه بذكائك أنت ثغرة لما تعتبره أنت «ذكاء» شريرًا من جانب والدتك ، لكى تفسده عليك ..

ولسوف تتخلص من هذه المشاعر البغيضة تدريجيًا مع تسليمك بشذوذها واستشعارك لخطورتها على اتزانك النفسى ، ولسوف يوفقك الله إلى فتاة تكون أكثر حيلة فى مواجهة هذا «الدهاء» الذى تدعيه لوالدتك ، فتصمد له وتتمسك بك ، وينجح ارتباطك بها بإذن الله .

★★★

جفاف النبع !

أنا زوجة وأم تزوجت منذ ثمانى سنوات من رجل طيب وكريم الخلق ويرعى الله فى عمله ، وعشنا معًا حياة دافئة بالحب والمودة والحنان ، بفضل حبى لزوجى وحب زوجى لى ، وإلى جانب طبيعته المرحة والودود ، فلقد أسبغ زوجى على حياتنا قدرًا كبيرًا من البهجة بطيبته وخفة روحه .. وحبه لى .. وكان دائم الضحك والمرح والمعابثة معى .. ولا يكف عن مغازلتى كل يوم بكلمات الحب الجميلة كأننا خطيبان فى فترة الخطبة الأولى.. بل وكان أيضًا يكتب الشعر فى حبى ويقرأه علىَّ لأنه من هواة كتابة الشعر وإلقائه ، وبعد إنجابى لطفلى الثانى وجدت أننى لا أستطيع الاستمرار فى عملى كموظفة حكومية وحصلت على أجازة بدون راتب لكى أرعى الطفلين ثم أنجبت الطفل الثالث فأصبحت مسئوليتى أكبر ومددت الأجازة لفترة أخرى لكى أقدم لأطفالى ما يحتاجون إليه من رعاية واهتمام وحنان .

ومضت بى الحياة حافلة بالمشاغل اللذيذة من رعاية الأطفال .. وتلبية مطالبهم وفض اشتباكاتهم الصغيرة .. وتنظيم أوقات طعامهم .. ولهوهم .. ونزهاتهم ، وزوجى يرجع من عمله فيتفرغ لمداعبة الأطفال .. ومداعبتى ، ويصطحبهم لشراء الحلوى واللعب الصغيرة أو لشراء متطلبات البيت ، ومن حين لآخر يدعونا للخروج كلنا فى زيارة عائلية أو إلى إحدى مدن الملاهى .. أو إلى المشى فى الشارع بلا هدف .. ويجد دائمًا ما يعلق عليه بظرف وخفة دم فتمضى نزهتنا فى مرح حتى نعود .. ومنذ عام واحد رحلت عن الحياة والدته يرحمها الله فحزن لرحيلها وبكى كثيرًا وغابت الضحكة عن وجهه .. وشاركته حزنه وتعاطفت معه ، وبدأ يكثر من السفر إلى بلدته ، ليزور أخويه اللذين يكبرانه واللذين ربياه من بعد أبيه حيث مات والده وهو طفل صغير ، ويزور قبر والدته ويرجع واجمًا حزينًا ، فأرقبه فى إشفاق وأدعو له الله أن يترفق به .

وانتظرت أن يتخفف زوجى الحبيب من حزنه مع الأيام وبدأ بالفعل يستعيد بعض حماسه السابق بعد عدة أسابيع ، فإذا به يصدم صدمة أخرى برحيل شقيقه الأكبر عن الحياة .. وازدادت أحزانه بدلاً من أن تهدأ ، ورجع للسفر إلى بلدته كل خميس ليرعى شئون أسرة شقيقه ويزور قبور الراحلين ويرجع من رحلته حزينًا مهمومًا..

واشتد إشفاقى على زوجى مما يشعر به من وحشة وألم لفراق والدته وشقيقه الذى كان يعتبره بمنزلة أبيه .. وتمنيت أن تسرع الأيام فى سيرها

لكى تبعد الذكرى وتهدأ الأحزان .. لكن الأيام جاءت بما لا تشتهى السفن وصدم زوجى صدمته الثالثة بعد بضعة شهور أخرى .. ففجع برحيل شقيقه الذى يلى أخاه الأكبر فى السن بغير سابق إنذار .. فاستقرت الكآبة فى نفسه .. وانشغل بالسفر كل بضعة أيام إلى بلدته ليرعى شئون أسرتى شقيقيه .. وبيت العائلة ومصالح الأسرة لأن شقيقه الأصغر لا خبرة له بالتعامل مع المصالح الحكومية..

وشجعته على القيام بواجباته العائلية تجاه أسرته .. وتحملت غيابه وبعده عنا فى صبر والتمست له العذر فى انشغاله بشئون عائلته لأنه يمر بظروف قاسية .. ولأن أخويه اللذين رحلا عن الحياة بعد أمهما فى فترة قصيرة كانا إلى جانب أمه كل شىء له فى الحياة..، لكن المشكلة اتخذت شكلاً آخر أدى إلى تغير صورة الحياة فى أسرتنا .. فلقد تغيرت أشياء كثيرة فى شخصية زوجى خلال هذا العام ، وبعد أن كان دائم الضحك والمرح والدعابة .. أصبح دائم الحزن والاكتئاب والتجهم .. ، وبعد أن كان هادىء الطبع طويل البال أصبح ضيق الصدر وشديد العصبية ويثور وينفعل لأتفه الأسباب ..

وبعد أن كان يغازلنى كل يوم بأجمل كلمات الحب ويكتب الشعر فى حبى أصبح صوته يعلو علىّ بكلمات قاسية .. ويسبنى بألفاظ بشعة ، بل لقد رفع يده على لأول مرة فى حياته خلال الفترة الأخيرة عدة مرات .

كما أنه أهمل مظهره وملابسه وصحته بالرغم من أنه يعانى من ألم فى الكلى وصداع دائم فى الرأس ..

فظللت الكآبة والحزن حياتنا التى كانت مليئة بالحب والضحك والبهجة .. ولم يعد زوجى يهتم بتلبية مطالب البيت .. أو يترك لى نقودًا كافية ، وأصبحت بالنسبة له كقطعة الأثاث التى بلا مشاعر ولا أحاسيس ..

وجف نبع حنان زوجى وحبه لى مع أننى فى أشد الحاجة إليهما لأننى وحيدة فى الحياة ورحلت أمى عن الدنيا من زمن بعيد ، وغادر أبى البلاد وسافر بعيدًا وتزوج فى غربته ، ولم يعد أمامى سوى الصبر على زوجى والأمل فى عودته للاهتمام بزوجته وبيته.. فهل تكتب له كلمة تناشده فيها أن يرجع إلى ما كان عليه .. وتقول له إن زوجته وأطفاله الثلاثة فى أشد الحاجة إليه وأن ما يحتاجونه لابد أن تكون له الأولوية لديه عن أى شىء آخر مهما كانت الواجبات والمسئوليات الأخرى .إننى أدعو الله كل يوم أن يخفف عنه ويرده إلينا وأتساءل فى حسرة أين أيام المرح والغزل والعشرة الطيبة .. وهل سترجع مرة أخرى؟!

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

نعم سترجع بإذن الله .. ولكن بعد أن تقوم الأيام بدورها المقدور فى مداواة الجراح .. وتهدئة الأحزان ، فكل شىء فى الحياة يولد صغيرًا ثم

يكبر إلا الأحزان فإنها تولد كبيرة ثم تضمحل تدريجيًا حتى تهدأ وتتحول إلى شجن رقيق لا يحول بين صاحبه وبين ابتهاجه بالحياة .. وليس من صحة النفس والوجدان أن يتسرع الإنسان هذه الدورة الطبيعية أو يتعجل انقضاء مراحلها قبل الأوان، وإنما عليه أن يرعى حزنه في صمت وصبر حتى يستوفى دورته محتسبًا أسباب أحزانه عند ربه وداعيًا إياه أن يخفف عنه ما يضيق به صدره .

أما نبع الحنان الذى جف فى قلب زوجك .. فإن ماء النبع قد يغيض إذا شحت موارده الطبيعية .. لكنه قد يفيض كذلك من جديد كسابق عهده أو أغزر إذا تلقى شحنة إضافية من مصادره الجوفية . ومهمتك الآن يا سيدتى هى أن تعينى ماء هذا النبع على التدفق من جديد بصبرك على أحزان زوجك وتعاطفك معه .. وتسامحك مع ما طرأ على روحه وشخصيته من تغيرات جوهرية صنعتها هذه الأحزان المتتالية خلال فترة قصيرة من الزمن . إذ يبدو لى أنك قد تعجلت قبل الأوان عودة زوجك إلى طبيعته المرحة السابقة معك ، وتفرغه الكامل لأسرته وأطفاله .. ومداعباته الماضية وغزله الرقيق لك كل يوم ، وانحيت عليه باللائمة لانصرافه عنك وعن أسرته إلى الانشغال بشئون عائلته ومسئولياته الأدبية والمادية الجديدة فى وقت مبكر بالنسبة لمثل هذا الحساب والعتاب، ففتح ذلك باب الجدال والشقاق بينكما وفوجئت أنت بردود فعله الانفعالية والعصبية لمثل هذا اللوم الذى يبدو له كنوع من عدم التقدير لظروفه الجديدة من جانبك ، أو كنوع من الأنانية الشخصية فى

ظروف تتطلب منك بعض الصبر وبعض التضحية .. وغاب عنك فى شدة تلهفك إلى استعادة الأيام السعيدة الخالية مع زوجك وغزله الشعرى والنثرى لك كل يوم ، أن التعاسة كما يمكن أن تقرب بين الناس حين يتعاطفون مع من يعانيها .. فإنها أيضًا يمكن أن تفرق بينهم إذا استشعر المهمومون قلة صبر المقربين منهم على همومهم ، أو عدم احترامهم لأحزانهم .

. والأحزان الكبيرة تورث صاحبها فتور الروح تجاه ما كانت تبتهج له قبل أن تداهمه عاصفة الهموم ، وتورثه قلة الصبر على الجدال والخلاف والمضايقات ، وتكسبه ضيق الصدر والحدة والانفعالية الشديدة .. ولهذا فإن أفضل ما تتعاملين به مع زوجك الآن هو الصبر على ما أعتور روحه من فتور تجاه الأشياء .. والتسامح مع عصبيته وانفعاليته الطارئة التى لا تعبر عن شخصيته الحقيقية بدليل سجله السابق معك طوال سنوات الزواج ، وتجنب الجدال والشقاق معه ، وتأجيل المطالب والمحاسبة واللوم إلى أن تهدأ فورة أحزانه .. ويتقبل واقعه الجديد ويتآلف معه ، ومحاولة إشعاره بالتضحية ببعض اعتباراتك الشخصية مراعاة لأحزانه ومسئولياته وهمه الذى يفعل الكثير بروح الإنسان وليس بجسمه فقط .. حتى قال عنه المتنبى فى أشعاره :

الهم يخترم الجسم نحافة   ويشيب ناصية الصبى ويهرم

وقال عنه الإنجليز فى أمثالهم إنه الشىء الوحيد الذى يقتل القطة التى اشتهرت عند العامة بأن لها سبع أرواح .

ولهذا فإن المحزون يحتاج إلى التعاطف والتسامح معه والصبر عليه أكثر مما يحتاج إلى كل ذلك خالى البال ، وليس إلى التشاحن معه والشقاق والمحاسبة والعتاب ، أما أيام السعادة والمرح وكلمات الغزل الرقيقة فلسوف تعود مرة أخرى إلى حياتك ، وبقدر ما تصبرين على زوجك حتى يتجاوز هذه الفترة العصيبة من حياته ، فالقلب الطروب لا يفقد ابتهاجه بالحياة إلى غير رجعة إذا اعتصرته بعض آلام الحياة .. وإنما «يخلص» الحزن لما يستحق منه الحزن له .. ثم يستعيد عافيته من جديد وإقباله على الحياة بعد فترة ملائمة من الوقت ، و «يخلص» الابتهاج أيضًا بما يدعو إلى البهجة والاحتفاء به من أسباب الحياة .

فاصبرى يا سيدتى وانتظرى

فإن قضى اليوم وما قبله فإن الغد الحى .. صباح الحياة !

كما يقول أبو القاسم الشابى .. وشكرًا .



الرداء الأبيض !

أنا فتاة فى العشرين من عمرى أكتب لك هذه الرسالة نيابة عن سيدة أعتبرها مثل أمى ، وأعرف أن كلماتك ستكون البلسم الشافى لها بإذن الله . أما هذه السيدة فهى مثل كثيرات غيرها من الأمهات الطيبات .. غير أنها تختلف عن كثيرات منهن فى أنها تعيش مع رجل لو قلت عنه إنه قاسى القلب لظلمته .. لأنه بلا قلب من الأصل ، ولأنها زوجته وأم أبنائه فقد اختصها بالقدر الأكبر من هذه القسوة وتحملت هى صابرة حياتها معه لكى ترحم أبناءها وتحميهم من غوائل الحياة .

ومنذ فترة ليست طوية مرضت ابنتها الكبرى التى تبلغ من العمر ٢٣ عامًا ، وكان مرضها بالقلب يتطلب الراحة والرحمة والهدوء .. لكنه بسبب إهمال علاجها ساءت الحالة فنتج عنه تضخم القلب والرئة وارتشاح فى الرئة والساق والكلى .

وقد تحملت هذه الفتاة مرضها بصبر عجيب وتحملت تحذيرات الأطباء الباردة لها من أنها لا تستطيع الزواج ، ولو تزوجت فلن

تستطيع الإنجاب لسوء حالتها ، وكان خطيبها هو الشيء الوحيد الذى يخفف عنها وقع هذه الكلمات القاسية على فتاة فى مقتبل العمر تحلم بارتداء ثوب الزفاف كغيرها من الفتيات . وبدأت الفتاة رحلتها القاسية مع المرض وتمكن منها الداء حتى أصبحت كالهيكل العظمى وأصبحت تقضى معظم أيامها فى المستشفيات ومن حولها أمها وإخوتها وخطيبها الإنسان بكل معنى الكلمة .

أما أبوها فلم تهتز له شعرة لمرضها ومعاناتها ولم يذهب معها إلى المستشفى مرة واحدة ، وكلما رجته أمها وهى خائفة أن يذهب للمستشفى لرؤية ابنته وجبر خاطرها ولو أمام خطيبها .. أجابها بأنها تدعى المرض .. وأنه لا وقت لديه لمثل هذا الدلع !

وحين كان المرض يشتد عليها وهى فى البيت كانت آهاتها تمزق قلوب الجيران فيأتون إلى الشقة ويتعاونون على حملها من الدور السادس إلى الدور الأرضى لكى تذهب للمستشفى ، أما والدها فيظل جالسًا فى الشرفة يدخن السجائر ويقرأ الجريدة فى هدوء فإذا جاءت إليه زوجته ترجوه باكية أن ينقلهم إلى المستشفى بسيارة الأجرة التى يملكها .. هز رأسه بالرفض وواصل القراءة والتدخين فى سلام ويبحث الجيران عن سيارة تنقل الفتاة للمستشفى ويأتى خطيبها مهرولاً إلى المستشفى ويقف إلى جوارها إلى أن يخفف الله عنها بعض آلامها .

وكانت هذه الفتاة تحتاج إلى ست أنابيب للأكسوجين يوميًا لكى تستطيع التنفس والبقاء على قيد الحياة ، وكانت أمها ينخلع قلبها خوفًا من أن تفرغ الأنابيب قبل أن يتوافر لها غيرها ، وكم من مرة طلبت من زوجها أن يدفع ثمن أنبوبة واحدة للأكسوجين لكى تتنفس ابنته فكان يرفض ذلك بكل قسوة ، فينفق خطيبها جزاه الله كل خير على علاجها وعلى شراء أنابيب الأكسوجين ، بجانب ما تنفقه الفتاة نفسها من مرتبها البسيط وتتحمل آلامها فى صبر ورضا وتصلى وهى نائمة وتستمع دائمًا إلى شرائط القرآن الكريم وتدعو ربها فى كل حين : (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) .

وكان جميع من حولها من الأم والإخوة والخطيب والجيران الطيبين يزورونها فى المستشفى ويرثون لحالها ويعلمون أن أيامها فى هذه الدنيا القاسية قليلة ما عدا الأب الذى زارها ذات مرة زيارة قصيرة وهى فى أسوأ فتراتها ، فرجته ابنته وهى تبكى أن يبقى إلى جوارها حتى ينفذ فيها سهم القضاء لأنها كما قالت له مستعطفة «تموت» فإذا به يجيبها ببرود بأن من يموت بالفعل لا يعرف أنه يموت ولا يقول إنه يحتضر كما تقول هى ، وبالتالى فإن هذا كله «تمثيل» ودلع بنات لا وقت لديه لتحمله ، ثم انصرف عنها بلا وداع ، وقرب الفجر استنجدت به أمها لكى يأتى ويعيد ابنته إلى بيتها لكى تحتضر هناك فى سلام فرفض النزول من البيت والاستجابة للرجاء ، ولم يمض وقت طويل حتى كانت روح هذه الفتاة الطيبة قد صعدت إلى السماء ، وكان آخر ما

طلبته من أمها هو أن تتصدق بمرتبها عن الشهر الأخير من حياتها القصيرة .. وبما تبرع لها به الجيران الطيبون للإسهام فى علاجها على الفقراء ترحمًا عليها !

وكان آخر ما قالته لأمها الحزينة هو أنها لن تسامح أباها أبدًا على ما فعله بها ، ولا على عدم تحمله نفقات علاجها وتركها للغريب .. أى لخطيبها لكى يتحمل نفقات العلاج دونه كما لن تسامحه أبدًا على رفضه البقاء إلى جوارها فى ساعاتها الأخيرة ورفض الاستجابة لنداء أمها له أن يأتى إلى المستشفى ليصطحبها إلى البيت لتقضى به ما بقى لها من عمر .

اما آخر كلماتها الحسيرة الأخرى فهى أنها كانت تتمنى ككل فتاة فى مثل عمرها أن ترتدى ثوب الزفاف الأبيض ، وتسعد بحياتها مع من أحبها وأحبته .. لكن إرادة الله قد شاءت لها أن ترتدى بدلاً منه رداء الرحيل الأبيض .. وهذه هى إرادة الله ولا راد لقضائه ولا معقب على حكمه وهو الرحمن الرحيم .

ورحلت هذه الفتاة الطيبة عن الدنيا فى هدوء وبكتها أمها وإخوتها وجيرانها الطيبون وخطيبها الإنسان .

وفى مجلس العزاء فى بيتها كانت الأم والإخوة والخطيب والجيران هم الذين يتقبلون العزاء فيها أما الأب الذى لا أجد له وصفًا فقد كان جالسًا أمام التليفزيون يتابع المسلسل اليومى ويدخن فى هدوء غريب !

ولم يكتف هذا الرجل بالإساءة لابنته الراحلة وهى على قيد الحياة .. وإنما أساء إليها أيضًا وهى فى رحاب الله .. فقد جاء خطيبها لزيارة والدتها وإخوتها بعد العزاء فإذا بهذا الأب القاسى يقابله بجفاء ويطلب منه عدم العودة إلى هذا البيت مرة أخرى ويسأله : لماذا تجىء الآن وقد ماتت من كنت تأتى لرؤيتها ؟

ولقد كنا نظن أن رحيل ابنته عن الحياة سوف يغير من بعض طباعه القاسية ، ويدفعه لأن يرعى الله فى أمها وإخوتها من بعدها ، فلم يتغير من طبعه شىء وهو الآن يواصل قسوته على أخيها المريض بالسكر ، ويرفض الإنفاق على علاجه الذى إن لم يأخذه فى موعده جاءته غيبوبة المرض ، ويواصل أيضًا بلا رحمة قسوته على أمها فيسبها ويضربها .. وهى التى لا تجف دموعها على ابنتها .. ومازالت لا تصدق أنها قد رحلت عنها فتنهض من نومها مفزوعة وهى تنادى على ابنتها عسى أن تجيبها من عالم الغيب والشهادة . لقد كتبت لك قصة هذه السيدة المعذبة لكى توجه إليها كلمة عزاء فى ابنتها وتخفف عنها بكلماتك الحانية بعض أحزانها .. كما كتبتها لك أيضًا عسى أن تستطيع مساعدتها فى زيارة بيت الله الحرام لعلها تجد هناك ما يدخل السكينة إلى قلبها ، ويعيد إليها بعض الطمأنينة ، لأنها حتى إذا استطاعت تدبير نفقات العمرة من أهل الخير المحيطين بها ويعرفون مأساتها فإن هذا الرجل الظالم لن يسمح لها بالسفر.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

يا إلهى .. أإلى هذا الحد قد تنزع الرحمة أحيانًا من بعض القلوب؟

إن القتلة والسفاحين قد ترق قلوبهم فى بعض الأحيان ، وتتحرك إشفاقًا على بعض البشر . فكيف خلت نفس هذا لرجل من كل لمسة شفقة أ رحمة بابنته الطيبة هذه ؟

ومن أى نوع من الأحجار الصلدة قُد قلبه فخلا من كل عطف على ابنته وزوجته وأبنائه ؟

لقد قلت ذات مرة إن من الآباء من لا يستحقون لقب الأب الجليل الذى يعنى فى جوهره العطف والعطاء والرحمة والمسئولية ، لكنى لم أتصور حين كتبت ذلك أن يكون على سطح الأرض أب تحتضر ابنته العروس وترجوه البقاء إلى جوارها فى لحظاتها الأخيرة أو إعادتها إلى بيتها لتقضى ما بقى لها من ساعات فيه ، فيصم أذنيه عن ندائها ولا تتفجر فى قلبه - ولو كان من صخر - ينابيع الرحمة والعطف على هذه الابنة المعذبة ، ففى أى زمن نعيش يا ربى وإلى أين ينتهى بنا المصير؟ وماذا سيقول هذا الأب لخالقه حين يسأله عن وديعته الغالية التى استودعه إياها ؟ كيف لم يترفق بها وهى هدية السماء إليه ؟ وكيف لم يرحم ضعفها وعذابها حين كانت فى أشد الحاجة إليه ؟ وكيف تخلى عن مسئوليته عنها ورفض الإنفاق على علاجها وترك هذه المسئولية الإنسانية لخطيبها الشهم وجيرانها الطيبين ؟ لقد وأدها هذا

الرجل الفظ بقسوته وغلظته وجمود مشاعره فبأى جواب سوف يجيب خالقه يوم يكون الحساب (إذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت) .

لقد كان ألم النفس أقسى عليها من آلام الجسد .

وكانت مرارة خزلان أبيها لها وتخليه عن علاجها ورفضه الوقوف بجوارها حتى فى لحظاتها الأخيرة أشد بطشًا بجسمها النحيل من علة القلب وآلامها .

فبأى حق ينجو مثل هذا الرجل من عقاب القتل المعنوى لابنته فى الأرض قبل أن يلقى قصاصه العادل عنه فى السماء ؟

وكيف يقف القانون عاجزًا عن محاسبة مثل هذا الرجل عن جريمة القتل المعنوى هذه ؟

وألا من مخرج لدى فقهاء القانون لمحاسبة مثل هذا الرجل عما صنع بابنته ؟ وعما يفعل الآن بابنه المريض بالسكر وزوجته المكلومة وأبنائه الحائرين ؟

إن هناك أشخاصًا يكفى مجرد وجودهم فى الحياة لكى تتخفف الدنيا من بعض قبحها وقسوتها وعنائها وهناك أشخاص آخرون يكفى مجرد وجودهم فى الحياة لكى تزداد مساحات العناء والظلم والقسوة فيها .

وهذا الرجل من هذا الصنف الأخير ، ولابد من وسيلة مشروعة لمحاسبته عما جناه على ابنته ولرده عما يفعل الآن بابنه المريض وزوجته المفجوعة فى ابنتها الراحلة .

أفتونى أيها الملأ من رجال القانون عما يمكن فعله مع هذا الرجل وإرغامه به على الرفض بزوجته وابنه المريض والتكفير عن جنايته على ابنته .

لقد كان الفقيه شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف باسم ابن قيم الجوزية يقول فى معرض الحديث عن قسوة القلوب : ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله ويقول : خلقت النار لإذابة القلوب القاسية ويقول : أبعد القلوب من الله القلب القاسى ، ويقول : إذا قسا القلب قحطت العين ، أى جفت من ماء الدمع . وكل ذلك ينطبق على هذا الرجل الذى أكبح جماح قلمى بصعوبة شديدة لكيلا يصفه بما يستحقه من صفات .. فمن عجب ، بعد كل ذلك أن يكون كما تقولين فى رسالتك ممن يقرأون الجريدة ويعرفون خط الأحرف .

فلا أفادته القراءة ولا رققت حاشيته خطوب الحياة ، فبأى حق يسعى أمثاله فى الحياة ويزيدون من مساحة القبح والعناء فيها ؟

ولمن سوف يرق قلبه إذا لم يكن قد رق لابنته الشابة وهى تسمع أنغام الرحيل أو لابنه الذى يعانى مرض السكر شفاه الله منه أو لزوجته الحزينة على ابنتها الراحلة ؟

لقد اعتدت أن أناشد الأزواج والزوجات أن يترفقوا بشركاء الحياة لكنى لا أشعر بأى رغبة فى أن أناشد هذا الرجل فى شىء - أو أوجه

أفتونى أيها الملأ من رجال القانون عما يمكن فعله مع هذا الرجل وإرغامه به على الرفض بزوجته وابنه المريض والتكفير عن جنايته على ابنته .

لقد كان الفقيه شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف باسم ابن قيم الجوزية يقول فى معرض الحديث عن قسوة القلوب : ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله ويقول: خلقت النار لإذابة القلوب القاسية ويقول : أبعد القلوب من الله القلب القاسى ، ويقول : إذا قسا القلب قحطت العين ، أى جفت من ماء الدمع . وكل ذلك ينطبق على هذا الرجل الذى أكبح جماح قلمى بصعوبة شديدة لكيلا يصفه بما يستحقه من صفات .. فمن عجب ، بعد كل ذلك أن يكون كما تقولين فى رسالتك ممن يقرأون الجريدة ويعرفون خط الأحرف .

فلا أفادته القراءة ولا رققت حاشيته خطوب الحياة ، فبأى حق يسعى أمثاله فى الحياة ويزيدون من مساحة القبح والعناء فيها ؟

ولمن سوف يرق قلبه إذا لم يكن قد رق لابنته الشابة وهى تتسمع أنغام الرحيل أو لابنه الذى يعانى مرض السكر شفاه الله منه أو لزوجته الحزينة على ابنتها الراحلة ؟

لقد اعتدت أن أناشد الأزواج والزوجات أن يترفقوا بشركاء الحياة لكنى لا أشعر بأى رغبة فى أن أناشد هذا الرجل فى شىء - أو أوجه

إليه أى كلمة وبدلاً من ذلك فإنى - ولعلها المرة الأولى التى أفعل فيها ذلك - أقسم بالله العلى القدير الذى لا إله سواه أننى سوف ألاحق هذا الرجل بكل الوسائل القانونية المتاحة إن لم يترفق بزوجته ويسمح لها بأداء العمرة على نفقة بريد الأهرام مع مراعاة حقه عليها كزوج فى أن يصحبها إلى هذه العمرة إذا شاء إكرامًا لها وليس له ، وتيسيرًا عليها وليس عليه وكذلك إن لم يتحمل مسئوليته عن علاج ابنه أو يسمح لبريد الأهرام بتنظيم علاجه ورعايته إلى أن يكتب الله له الشفاء بإذن الله.

فانتظرى منى أيتها الآنسة الطيبة كاتبة هذه الرسالة اتصالاً قريبًا لأدعوك إلى زيارتى مع هذه السيدة المكلومة راجيًا أن تصطحب معها تقارير ابنها الطبية لترتيب مسألة علاجه وأوراقها الشخصية اللازمة لاستصدار جواز سفر لها والله المستعان على كل أمر عسير.



قتل الفرحة !

أنا شاب نشأت فى أسرة مكافحة بين إخوة كثيرين .. وبفضل من الله وبجهد أبى المكافح - أطال الله عمره - وجهدنا أنهينا كلنا تعليمنا الجامعى وخرجنا إلى الحياة نواصل رحلة الكفاح الشاقة فيها ، وعقب تخرجى فى كليتى ارتبطت بخطبة ابنة أحد أقاربى الميسورين نسبيًا بالمقارنة بحالنا واتفقنا على الشبكة ، وجاهدت أنا فى الحياة لتوفير قيمتها وتوفير المسكن الملائم فى حدود إمكاناتى البسيطة ، وبعد عمل متصل ليل نهار لعدة سنوات فى أكثر من مكان وفى كل ما يخطر لك على بال ، استطعت الحصول على شقة صغيرة من حجرتين وصالة فى حى شعبى فى أطراف المدينة ، كما استطعت أيضًا شراء الشبكة وتقديمها لخطيبتى ، وشراء الأثاث المناسب فى حدود قدرتى ، وكنت كلما وفقنى الله - سبحانه وتعالى - إلى تحقيق شىء من ذلك ، وهو بالنسبة لى من المعجزات ، كنت أتوجه إلى بيت خطيبتى سعيدًا مبتهجًا لأزف إليها وإلى والدها الخبر لكى يشاركانى الفرحة بما

وفقنى الله إليه بالرغم من تعثر ظروفى ، فكنت أفاجأ فى كل مرة بما يقتل الفرحة فى داخلى ويشعرنى بالعجز والإحباط ، فالشبكة بالرغم من الاتفاق على قيمتها يقال لى عنها أهذه هى الشبكة التى نتيه فخرًا بها ؟ والشقة التى كافحت كفاح الأبطال للحصول عليها : يقال لى عند رؤيتها : أهذه هى الشقة التى ملأت الدنيا حديثًا عنها ! إنها ضيقة وفى حى شعبى غير لائق .

وهكذا فى كل شىء فعلته .. أو قدمته .. وبدلاً من أن تشاركنى خطيبتى ووالدها فرحتى بنجاحى فى أن أتلقى التهنئة والتشجيع مضطرًا للاعتذار عنه وعن ضيق الإمكانات وأشعر بالبؤس والاختناق .

ثم اقترب موعد الزفاف المتفق عليه ، فإذ بوالد خطيبتى يفاجئنى بقراره بتأجيل الزفاف ٤ سنوات كاملة حتى تنتهى خطيبتى من دراستها مع أن دراستها نظرية ولا تتطلب التفرغ التام ، وحتى - وهو الأهم - أستطيع التخلص من الشقة التى قمت بتأثيثها وتوفير شقة أخرى أوسع وفى حى أفضل ، وتغيير الأثاث الذى اشتريته بالعرق والكفاح والحرمان وشراء أثاث آخر أرقى ، وأسقط فى يدى وشعرت بأن الفرحة قد ماتت نهائيًا فى قلبى ، وأننى مهما فعلت فلن أستطيع أبدًا أن أنال الرضا والقبول من خطيبتى ووالدها ، وعقد الحزن لسانى ورجعت إلى بيتى مهمومًا ، ورويت لأبى ما حدث ، فارتسم الحزن العميق على وجهه وتندت عيناه بالدمع المؤلم وقال لى إنه آسف أشد الأسف لأنه لم يستطع مساعدتى فى الزواج ، وأنه لو كان يملك أن

يبيع إحدى كليتيه أو كلتيهما ، لكى يساعدنى بقيمتيهما ويخفف عنى هذا الإحساس المؤلم بالعجز والفقر لما تردد فى ذلك لحظة واحدة فانهمرت دموعى ، ليس حزنًا على خطيبتى وإنما عطفًا على أبى الطيب المكافح الذى حرم نفسه من كل شىء ليوفر لى ولإخوتى الطعام والمأوى والتعليم ، وأدى رسالته معنا على خير وجه ، ونهضت إليه فقبلت رأسه ويديه وانحنيت على قدمه لأقبلها فمنعنى بالقوة ، وقلت له إنه أعظم أب فى الوجود وإننى فخور بأننى ابنه وبأنه أبى ، وأن المشكلة ليست فيه ولا فى ظروفنا لأننا أفضل حالاً من كثيرين غيرنا ، لكن المشكلة فى الطرف الآخر الذى لم يقدر لى كفاحى واستقامتى وحرصى على ألا أقترب من الحرام .

وفى هذه اللحظة عزمت على فسخ خطبتى وتركت خطيبتى لمن يملك أن يحقق لها ولوالدها ما يطمحان إليه ، واحتسبت عند ربى قيمة الشبكة والهدايا التى قدمتها لخطيبتى ورفض والدها إعادتها لى بحجة أننى التارك وليست ابنته ، مع أنه هو الذى اضطرنى اضطرارًا إلى تركها لعجزى عن تحقيق مطالبها ومطالبه ، وواصلت طريقى فى الحياة وواصلت العمل ليل نهار ، وبدأت أكون من جديد بعض المدخرات الصغيرة وبعد فترة من الزمن تعرفت على رجل فاضل ليس من أقاربى لكننا تقاربنا سريعًا ، ولاحظت أن ظروفه العائلية والمادية أفضل كثيرًا من ظروفنا ومن ظروف قريبى الذى أشعرنى بالإحباط القاتل ، وعرفت أن له ابنة فى سن الزواج ففكرت فى التقدم إليها لكنى ترددت فى ذلك خوفًا من مواجهة الرفض والاعتذار لضعف قدراتى ، ثم

تشجعت ذات يوم وصارحته برغبتى وأسباب ترددى ، فإذا بالبشر يعلو ملامح الرجل وإذا به يرحب بى بحرارة ويقول لى إنه قد بدأ حياته الزوجية بالاقتراض والسلف وعانى الحرمان سنوات طويلة حتى أفاء الله عليه بالرزق الحلال ، وأنه يرحب بأن يعطى ابنته لشاب مستقيم ومتدين وقادر على الكفاح لكى يعرف لابنته قدرها ويقدر لها كفاحها معه وصبرها على ظروفه فى البداية ، وهى ظروف مألوفة لدى كل شاب فى بداية حياته ، وانتهى اللقاء بالقبول ورأيت ابنته فإذا بها أجمل من فتاتى السابقة وأكثر تعليمًا ونسخة أخرى من أبيها فى السماحة والرضا والقناعة ، وتمت الخطبة فشهدت قبلها وبعدها صورة مختلفة تمامًا لكل ما آلمنى فى تجربتى السابقة ، فالشبكة التى أحضرتها وكانت أقل فى قيمتها من شبكة خطيبتى السابقة بدت فى نظر خطيبتى الجديدة ووالدها ووالدتها وكأنها من الجواهر الثمينة ، وراحوا يتناقلونها فى أيديهم ويبدون إعجابهم بها ويشكروننى عليها حتى طفر الدمع من عينى ، وكل هدية أقدمها لخطيبتى أرى لها فى وجهها شهقة كشهقة الفرحة الطاغية ، وكذلك من والدتها ووالدها وكأننى قد صنعت المعجزات ، أما الشقة التى لامنى علها قريبى وابنته ، والأثاث الذى وضعته فيها فقد كان موضع ثناء خطيبتى ووالدها بالرغم من شعورى بالحرج لعدم تناسبها مع بيت خطيبتى ، وبالرغم من ذلك فلقد أقسمت لخطيبتى ووالدها بأننى سوف أشق الصخر لكى أستطيع استبدال هذه الشقة والحصول على شقة أوسع وفى مكان أفضل فى

أقرب فرصة ، ولم يعلق والد خطيبتى على هـذا الوعد سـوى بترديده للآية الكريمة : « لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها » وقبل موعد الزفاف فوجئت بوالد خطيبتى وبغير أية إشارة منه إلى نيته يهدينى صالونًا فاخرًا توارى إلى جانبه الصالون الذى اشتريته ، وتم الزفاف وسط فرحة الجميع .. وكشفت لى الأيام التالية عن معدن زوجتى وأصلها ، فإذا بى أجد إلى جوارى إنسانة طيبة راضية النفس تقدر لى كل شىء أفعله وتشعرنى بأن قامتى تطاول السماء ، وأنها فخورة بى وبكفاحى فى الحياة ، وبالرغم من رضاها فإنى لم أنس وعدى لها ، وقد وفقنى الله - سبحانه وتعالى - فى الاتفاق على شقة من ٤ غرف فى مشروع جديد ، دفعت مقدم ثمنها بعد سنة واحدة من الزواج ، وأدفع الآن أقساطها بانتظام وسوف نتسلمها بعد عامين بإذن الله ، وبشرنى والد زوجتى بأنه سوف يهدى سكنى الجديد - إن شاء الله - غرفة نوم للأطفال ، بعد أن رزقنا الله بطفل جميل ، وحملت زوجتى فى مولودنا الثانى ولقد كتبت لك رسالتى هذه لأناشد الآباء والفتيات ألا يحبطوا الشباب الراغب فى الزواج وألا يشعروهم بالعجز والمهانة بسبب ضعف إمكاناتهم ، ولكى أناشد الشباب أيضًا ألا يستسلموا لهذا الإحساس المؤلم بالعجز إذا واجهوا موقفًا مماثلاً لما واجهته ، وأن يؤمنوا بأنه إذا ظلمهم بعض البشر فى الدنيا ، فلسوف ينصفهم آخرون غيرهم ولن تغفل عنهم عدالة السماء أبدًا بإذن الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

الرضا لمن يرضى يا صديقى والسخط لمن يسخط ، هذا هو ما تقوله لنا رسالتك وما ينبغى لنا أن نستخلصه منها ، فالإنسان إنما يستمد الجزء الأعظم من سعادته مما يسميه الكاتب الأمريكى وليم شيرر «حياته الداخلية» وليس من حياته الخارجية أو من مؤثرات الواقع الخارجى . ومن المؤكد أن المرء لا يسعد بالجماد المحيط به وإنما بالإنسان الذى يتبادل معه العطف والحب والاهتمام والحنان ، ولهذا فكم شقى بشر تهيأت لهم كل مقومات الحياة الخارجية الملائمة ، ولم تتوافر لهم فى ... نفسه أسباب السعادة الداخلية ، وهى فى كلمة مختصرة الرضا والاستعداد النفسى للابتهاج بالحياة ، والميل لإنصاف الآخرين وتقدير عطائهم والاعتراف لهم بالجدارة والاستحقاق ، ومنذ قديم الزمان قال الإمام الفقيه ابن القيم الجوزيه : إن الرضا هو سكون القلب تحت مجارى الأحكام .

ولقد شاءت لك أقدارك أن تتعامل مع نموذجين مختلفين من البشر أحدهما يفتقد الرضا ويبخل على الشريك بالتقدير الذى يستحقه والتشجيع النفسى الذى يحفز الهمم ويدفع إلى تقديم المزيد من العطاء ، وثانيهما يتمتع بالقدرة على الرضا والابتهاج بالأشياء مهما كانت متواضعة ، ويشعر الشريك بقيمة ما يقدمه إليه واعتزازه بكفاحه فى الحياة وعطائه له . ويسخو عليه بالعطف الإنسانى الذى يعوضه عن مرارة الكفاح ويجدد لديه الرغبة فى مواصلته لتحقيق الأهداف ، ولهذا

فلقد كان منطقيًا أن تفشل تجربتك مع النموذج الأول ، وأن تنجح التجربة وتؤتى ثمارها مع المثال الآخر ولقد سئل خبير أمريكى فى الاستشارات الأسرية عن أهم أسباب انهيار الحياة الزوجية فى الوقت الحالى فأجاب بعبارة مختصرة : إن هذه الأسباب كثيرة ومتعددة لكن أكثرها تدميرًا للعلاقة الزوجية هو : افتقاد أحد الطرفين للتقدير الذى يستحقه من جانب شريك الحياة ! ولم يكن الخبير مبالغًا فيما قال ، فافتقاد التقدير هو الصخرة التى تتحطم عليها معظم العلاقات الزوجية ، والعلاقات الإنسانية بوجه عام ، والميل للانتقاص من أقدار الآخرين ومن قيمة عطائهم وجهدهم ، وعدم التجاور معهم فى مشاعرهم واعتزازهم بما حققوا لأنفسهم وأسرهم من إنجازات ، هو الترجمة الأمينة لشكوى الكثيرين من افتقادهم التقدير الذى يرون أنفسهم جديرين به من جانب شركاء الحياة ، وخطورة هذه الآفة هى أنها قد تمهد الأرض لدى أحد طرفى العلاقة الزوجية للترحيب بما يفتقده فى حياته الشخصية من التقدير ، إذا تلقاه من طرف خارجى ويعمق لديه ذلك الإحساس بالغبن وبالمفارقة المؤلمة بين ما يشكو منه من ميل شريك حياته للانتقاص من جهده وعطائه وقتل الفرحة داخله بكل ما يحققه من أهداف وإنجازات ، وبين ما يجده من إنصاف الآخرين لعطائه وجهده فتكون النتيجة فى بعض الأحيان هى أن يتعمق لديه الإحساس بالغبن فى علاقته بشريكه ، وأن يزداد استعداده للضعف والتجاوب مع من يشعره بجدارته واستحاقه ومميزاته .

فالحمد لله الذى أنقذك من مكابدة هذا الإحساس المرير بالعجز عن إرضاء شريكة الحياة مهما فعلت أو حققت من أهداف طوال رحلة العمر ، وشكرًا للأقدار الرحيمة التى شاءت لك أن تجمع بينك وبين من ينصفونك ويشعرونك بالجدارة والاستحقاق ، وبأنك تحقق لهم المعجزات بجهادك وكفاحك الشريف فى الحياة ، وأرجو أن يستوعب الآباء والفتيات والشباب مغزى رسالتك هذه وأن يستفيدوا بها فى حياتهم وتجاربهم الشخصية مع الآخرين ومع أنفسهم .. والسلام .

★★★

الوصية!

أنـا سـيدة فـى السادسـة والـثلاثين مـن عمـرى .. تزوجت قريبًا لى وأنجبت منه طفلين .. وعشت حياتى معه راضية سعيدة ، وبعد زواجى تعرفت بابنة الجيران المتزوجة فى حى آخر وترجع لزيارة أهلها من حين لآخر ، وجمعت الصداقة بيننا ، فتقاربنا وأصبحت الزوجة صديقة حميمة لى وأصبح زوجها صديقًا مقربًا لزوجى ، وتبادلنا الزيارات العائلية وازدادت أواصر الصلة بيننا بعد التحاق زوج صديقتى بنفس العمل الـذى يعـمل به زوجى ، فأصبحا يقضـيان معًا أوقاتًا

طويلة فى العمل وفى البيت عندنا أو عند هذه الأسرة ، كما أصبح زوج صديقتى يثق فى نصائح زوجى ويعمل بها ، وبعد سنوات قرر زوج صديقتى السفر للعمل بإحدى الدول العربية لتحسين مستواه المعيشى ، وأوصى زوجى برعاية زوجته وولديه فى غيبته ، وعمل زوجى بالوصية ، فأصبح يتردد على بيت صديقه كثيرًا ويرعى شئون أولاده ويلبى مطالبهم .. وبدأت أنا أشعر بالقلق لقيامه بهذه الزيارات

وحده دون اصطحابى معه كما تقضى بذلك الأصول ، وعاتبت صديقتى على تقبلها هذا الوضع الذى لا يرضى أحدًا ثم ازداد قلقى حين لاحظت على زوجى أن حياته قد انقلبت رأسًا على عقب ، وأنه قد أصبح إنسانًا آخر معى على الرغم من أننى لا أقصر معه فى واجباتى الزوجية .. وسكن الشك فى أعماقى .. وتضاعف كثيرًا حين أدركت بعد فوات الأوان أن زوجى وهذه الصديقة كانا قبل زواجها متحابين ولم يكتب لهما التوفيق فى الزواج ، فتزوجت من الآخر وتزوج هو بعد سنوات أخرى منى . وواجهته بما علمت وبما يفعل فأنكر كل شىء ، وحاول إقناعى بأنه لا يفعل إلا ما أوصاه به صديقه من رعاية أسرته فى غيابه .

ولم يسترح قلبى لما يقول وطالبته بالانقطاع عن زيارة هذه السيدة وأن يدع أمر رعاية شئونها لأهلها . كما ساءت علاقتى بها وتوقفت عن زيارتها واستقبالها فى بيتى . وأصبحت أعد الأيام والساعات على عودة زوجها من الخارج واستقراره مع أسرته ، لكى أنقذ أسرتى من الضياع ، وتحققت الأمنية بالفعل وعاد الزوج من الخارج عودة نهائية ، لكنه لم يكد يستقر فى بيته وأسرته عدة أيام ، حتى فوجىء بزوجته تطلب منه الطلاق وتتمسك به بإصرار ، وحاول الرجل مرارًا أن يعرف سببًا لذلك دون جدوى ، ولجأ إلى صديقه المخلص فإذا به ينصحه بأن يطلقها مادامت هذه هى رغبتها ، واقتنع الرجل برأى صديقه وطلق

زوجته وفوجىء أهلها الذين يقيمون فى الجوار بعودة ابنتهم إليهم مطلقة بلا أسباب واضحة .

وأصبحت الصديقة الحميمة أمام زوجى ليل نهار فى مسكن الجيران، وما إن انتهت عدتها حتى تزوجت من زوجى سرًا ، ووقعت قسيمة زواجهما فى يدى بالمصادفة البحتة ووجدت عنوانى فيها مخالفًا للحقيقة لكيلا يتم إعلانى بهذا الزواج .

والآن يا سيدى فلقد تزوجت صديقتى الحميمةبصديق زوجها المخلص بمال الزوج الذى جمعه بالشقاء فى غربته ، ورضيت أنا بأقدارى من أجل أبنائى .. ولو كنت أستطيع شيئًا آخر لفعلته لكن مصلحة أبنائى فوق كرامتى وفوق كل شىء ، ولقد أهملنا زوجى وأصبح مقصرًا معى ومع أبنائى ، ولست أكتب إليك لكى تناشده أن يطلق هذه السيدة ويرجع إلى أبنائه لأنه لن يفعل ذلك للأسف ، وإنما لكى تناشده العدل معى ومع أبنائى ، وأيضًا لكى تحذر الزوجات والأزواج ممن يرتدون مسوح الأصدقاء وهم ليسوا كذلك !

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لو أننا اهتدينا بهدى ديننا وعملنا فى حياتنا الخاصة بأحكامه ونواهيه لخلت الحياة من كثير من الآثام والشرور ، ومن ذلك على سبيل المثال أن هذه الوصية التى أوصى بها زوج الصديقة السابق زوجك ، وصية باطلة من الأصل ومخالفة لأحكام الدين ، ولهذا فقد فتحت الباب على

مصراعيه للخيانة والغدر بالزوج الغائب ، إذ ما معنى أن يوصى زوج رشيد رجلاً أجنبيًا على زوجته بأن يرعاها فى غيابه مهما كانت درجة صداقته به وثقته فيه ، وللزوجة أهل يستطيعون رعايتها وأطفالها فى غياب زوجها ، ويمكنهم إذا رغبوا فى المساعدة أن يلجأوا لمثل هذا الصديق لإعانتهم على ما يستعصى عليهم من أمور ، وما معنى أن يستبيح هذا الصديق المخلص التردد مرارًا وتكرارًا على زوجة رجل آخر فى غيبة زوجها بغير أن يصطحب معه زوجته فى كل زيارة أو يكلفها دونه بالقيام بما يريد القيام به تجاه زوجة صديقه ؟ ثم ماذا كان ينتظر ذلك الزوج السابق من زوجته وصديقه وقد مهد لهما الأرض بغفلته وثقته غير المبررة فى هذا الصديق لإحياء الحب القديم ؟ والتخطيط لاستكمال القصة الناقصة ولماذا لم تنتبهى أنت يا سيدتى من البداية إلى أن لهذه الصداقة العائلية خلفيات قديمة قد تنذر بتجدد الحب بين زوجك وصديقتك فى أية لحظة ؟ فتضعى لهذه الصداقة حدودًا لا تتجاوزها أو تبتريها من الأصل وقد بدا واضحًا منذ البداية أن وراءها ما وراءها من نذر وغيوم .

لقد كان الحكيم الإغريقى إيسوب يقول : فكر قبل أن تثق !

ونحن نثق فى بعض الأحيان قبل أن نفكر ونتدبر ونمتحن جدارة الآخرين بثقتنا فيهم .

ولقد خان زوجك ثقة زوج الصديقة وثقتك فيه وخانت تلك الزوجة ثقة زوجها وثقتك أنت كذلك فيها ، ومن المؤسف حقًا أن

يدفع أربعة أطفال فضلاً عنك وعن زوج الصديقة السابق ثمن رغبة عاشقين فى استكمال قصتهما على حساب سعادة غيرهما وأمانهم واستقرارهم .

فليهنأ كل خائن بما فعل .. وليوطن نفسه من الآن على أن يدفع ضريبته العادلة ذات يوم قريب أو بعيد ، لأن الحياة ديون لا مفر لأحد من سدادها . وكما ظلمنا نحن الآخرين فلســوف يظلمنا ذات يوم من لا قبل لنا بهم .. فيكون ظلمهم لنا قصاص السماء منا .

أما زوجك الذى لا يعدل بينك وبين غرامه القديم ويقصر فى حقوق أبنائه فليس عندى ما أقوله عنه سوى أن من يفعل بصديقه الحميم ما فعل ، لا يتوقع منه أن تؤثر فيه كلماتى أو تعيده إلى جادة العدل والإنصاف ، فاستعينى عليه بأهله وأهلك واحتمى بأبنائك والتمسى فيهم العزاء والسلوى عما تعرضت له مادمت عاجزة عن أى خيار آخر ، وليفعل الله بك وبأبنائك ما فيه خيركم جميعًا إن شاء الله والسلام .



الهمس المسموم !

أنا سيدة قاربت الستين من عمرى ، وفى مركز عملى وعلمى جيد ، ودخلى يجعلنى - والحمد لله - أعطى ولا آخذ ، وقد رحل زوجى عن الحياة وأنا فى الأربعين من عمرى وفى قمة شبابى ،وترك لى ثلاثة أطفال بنتين وولدًا ، وبعد وفاة زوجى كرست حياتى لأبنائى وعشت لهم وبهم ، ولم أشعر لحظة واحدة بغياب الأب عن حياتهم ، ولم أعرضهم فى يوم من الأيام لأى لوم أو تأنيب من شخص قريب منا أو بعيد عنا ، حتى جدهم لأبيهم وعمهم وخالهم لم يعلموا ذات يوم شيئًا عن مشاكلنا ، ووفرت لأبنائى كل متطلباتهم من أساسيات الحياة إلى الترفيه والنزهات إلى الدروس الخصوصية التى كنت أنقلهم إليها بسيارتى ، وأظل فى الشارع إلى أن ينتهوا ، إلى كل شىء. وكانت لطلباتهم دائمًا الأولوية القصوى عندى ، فتفوقوا فى دراستهم جميعًا وتخرجوا فى كليات القمة وأشاد الجميع بتربيتهم وأخلاقهم ، وتزوجت الابنتان وسعدت بزواجهما وأصبح زوجاهما ابنين جديدين

لى ، أما الابن الوحيد فلقد عمل براتب محترم وبدأ يتعجل الزواج ، فرفضت نصيحة الأهل والأقارب لى بأن أعمل على أن يتزوج معى فى مسكنى الواسع ، حتى لا أعيش وحيدة فى نهاية الرحلة وبعد كل هذا العطاء لأبنائى، لكننى آثرت أن أدعه يحيا حياته الخاصة بغير إلزام له بشىء، واشتريت له شقة مجاورة لمسكن أختيه لكى تستمر علاقة المودة والرحمة بينهم ، ثم تعرف ابنى بفتاة فى مجال عمله ورغب فى الارتباط بها وتمت الخطبة ، فلاحظت أنها ومنذ البداية بعيدة عنى وعن شقيقتى خطيبها وليس بينها وبيننا سوى الاتصالات التليفونية المتباعدة، فحذرت ابنى من ذلك وأكدت له أنه ابنى وزوجى وشقيق شقيقتيه ووالدهما من بعد أبيه، وإن هذا البعد والتجافى منذ البداية لا يبشر بأنه سيستمر فى أداء دوره الإنسانى تجاهى وتجاه شقيقتيه ، لكنه راح يؤكد لى أن فتاته سوف تتغير بعد الزواج وستصبح أكثر حميمية معى ومع أختيه ، وكان يبكى بالدموع لكى ألبى لها طلباتها المغالى فيها، وكلما رفضت إعطاءه المزيد من النقود للاستجابة لطلباتها ضغط على بالبكاء أو استعان على بشقيقتيه لكى أعطيه ما يرضيه ، وهكذا فقد قمت بتشطيب الشقة له تشطيبًا فاخرًا وأدخلت إليها التليفون ودفعت المهر والشبكة وقيمة الأجهزة الكهربائية ، وتم الزواج بسلام ، فما إن بدأ حياته الزوجية مع فتاته حتى منعته هى حتى من الاتصال التليفونى بى وبشقيقتيه ، وزرناه أنا وابنتاى فى مسكن الزوجية فغضبت زوجته وثارت وبكت بغير سبب سوى الغيرة الجنونية لكيلا

نرجع لزياتها مرة أخرى ، والآن يا سيدى أصبح ابنى الوحيد الذى رجوت أن يؤنس وحدتى فى نهاية الرحلة .. ويعوضنى عما تحملته من عناء فى تربية أبنائى ومواجهة الحياة ، لا يزورنى إلا إذا توسلت إليه بالتليفون مرة كل شهر أو شهرين ولا يجيئنى إذا جاء إلا مع زوجته وفى العاشرة مساءً لكى يقضيا معى نصف ساعة فقط لا تزيد ثم ينصرفان ، وأرجع أنا إلى وحدتى ، وإذا طلبت منه أن يطمئن على تليفونيًا مرة واحدة كل يوم اعتذر بعمله ومشاغله ، مع أنى أعرف جيدًا أنه يزور أقارب زوجته وأمها ويقوم بتوصيلهم إلى أى مكان يريدونه ويلبى أى طلب يطلب منه حتى من صديقات والدة زوجته ، أما أنا فلا يزورنى إلا بالطلب الشديد والإلحاح ولا يأتينى إلا مع زوجته .. ولابد فى كل مرة من أن تفسر زوجته أى تصرف أو إشارة من جانبى على أنها ضدها .. وأجد ابنى بعد ذلك غاضبًا منى ولا يحضر لزيارتى ولا أراه .

لقد مضى عام على زواج ابنى أنجب خلاله طفلاً .. وقد قاطعنى وقاطع شقيقتيه وكلما ناقشته فى أسباب عدم زيارته لى أو لشقيقتيه يقول إن السبب فى ذلك هو أننا لا نزوره فى بيته ، وهو يعلم جيدًا أننا لا نزوره فى منزله لأن زوجته كانت تفتعل فى كل مرة زرناه فيها سببًا للغضب ونحن فى ضيافتها .. فكيف نرجع لزيارته فى بيته؟

إننى أقسم لك يا سيدى أننى لم أسىء لزوجة ابنى ، لكنها من النوع الغيور غيرة جنونية ومدللة وعصبية للغاية ، ولديها حب شديد للتملك.

فهل يرضيك بعد ذلك أن ينقطع عنى ابنى وعن شقيقتيه لمثل هذه الأسباب المفتعلة ؟

وهل يرضيك أن أتصل به على التليفون الذى أدخلته إلى منزله وفى مسكنه الذى اشتريته له فلا يرد هو أو زوجته على التليفون ، ويدعان آلة الرد المسجل لترد على اتصالاتى وهما فى المسكن ولا يقومان برفع سماعة التليفون والرد على اتصالى ؟!

لقد حرصت منذ بداية خطبته لفتاته على أن أدع له حرية التصرف ورفضت التدخل فى المشاكل التى ثارت بينه وبينها حول تفاصيل الزواج لكيلا يقول أحد أنه ابن أمه ، أو أنه لا يتصرف من وحى نفسه .. وتحملت عنه كل تكاليف الزواج الذى لم يسهم هو فيه بأى شىء ، فهل تكون القطيعة والجفاء هما مكافأتى من ابنى الوحيد بعد كل هذا العطاء ..

إننى أتردد فى أن أبوح لك بما بت أعتقده وأنا السيدة التى تشغل مركزًا علميًا جيدًا ، وهو أن ابنى هذا «مسحور» ومسلوب الإرادة ، فهل تعتقد فى السحر والشعوذة ؟

لقد شكوته لجميع أصدقائه ونصحوه ، وشكوته لرئيسه فى العمل فلامه كثيرًا ثم كففت عن الشكوى لكيلا أفسد عليه علاقاته وعمله .. لكنى حائرة فى أمره فهل من كلمة توجهها إليه تنبهه بها إلى واجبه تجاه أمه وشقيقتيه ؟!

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

حين يصل الحال بسيدة تشغل مركزًا علميًا مرموقًا إلى الاعتقاد بأن ابنها الوحيد قد تمت السيطرة عليه بالسحر والشعوذة لكى ينصرف بكليته عن أمه وأختيه إلى زوجته وأسرتها ، فإن الأمر لابد أن يدعو للتأمل والعجب ، غير أننى ألتمس لك كل العذر فى ذلك لأنك أم مصدومة فى وفاء ابنها لها وبره بها ، ولأن فى فحيح الهمس المسموم فى الآذان ، ما يفوق أثر السحر فى تغيير النفوس وتضليل العقول ، ولهذا فقد قال الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - لمن حوله ما معناه « لا يبلغنى أحد منكم عن أصحابى شيئًا فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ! » .

والواضح يا سيدتى هو أن ابنك هذا لم يحترس فى نقل ما كان يدور بينك وبينه من مناقشات واعتراضات على مطالب فتاته المغالى فيها إليها خلال فترة الخطبة ، فمهد الأرض بغفلته ونقص خبرته لبذر بذور الجفاء بينك وبينها منذ البداية ، وصادف ذلك لديها شخصية تقولين عنها إنها مدللة وغيور غيرة جنونية وعصبية ولديها ميل طاغ لحب التملك ، فتحول الأمر لديها إلى صراع بينك وبينها على الاستحواذ على هذا الابن على طريقة المصارعة الوحشية القديمة التى كان بعض أباطرة الرومان يتلهون بها فينظمون بين السجناء مباريات للمصارعة حتى الموت لا نجاة لأحد طرفيها إلا بقتل الطرف الآخر .

وهكذا فلقد أحكمت سيطرتها عليه وتصورت كما كان يعتقد هؤلاء المصارعون القدامى أنه لا حياة لأحدهم إلا بإزاحة الطرف الآخر فى الصراع من الوجود ، مع أن الأمر لا يتطلب كل هذا العناء .. لأن الساحة تتسع - لدى العقلاء ومن يرعون حدود الله فى حياتهم - للاهتمام بالأم والشقيقات إلى جانب الاهتمام بالزوجة والتفرغ لها .. لكن آفة النفس البشرية هى أن بعض ذوى الأثرة يعتبرون أن كل عطاء إنسانى يقدمه الزوج لأمه أو إخوته لابد أن يكون خصمًا من العطاء الذى ينبغى لهم أن ينفردوا به وحدهم ، وهى أنانية بغيضة وقصر فى النظر واعتماد كاعتماد الغافلين على أسباب القوة المؤقتة فى أيديهم ، إذ ما أطول ساعات اليوم لكى تتسع لأن يقوم شاب كابنك بواجباته الإنسانية التى لا تكلفه شيئًا تجاه أمه وشقيقتيه .. ويتفرغ إلى جانب ذلك لزوجته وأسرتها والاندماج فى عالمها إذ ماذا يكلفه أن يصل أمه وأختيه ولو بالاتصال التليفونى من حين لآخر ؟ وما ضره - سامحه الله - لو أجاب اتصالات أمه التليفونية التى لا يكلف نفسه عناء الرد وأجاب لهفتها الحسيرة عليه ؟

وماذا يضيره لو أنه أشعر أمه وشقيقتيه بوجوده فى الحياة وهن من كن يرجون أن يكون لهن السند والعماد ؟

وكيف يستقيم ضميره إلى هذا التقصير الإنسانى الفاضح فى واجباته تجاههن وقد كان يستطيع حتى لو عجز عن تحسين علاقة زوجته بأمه وشقيقتيه ، أن يفصل بين علاقته وعلاقة زوجته بهن ، فينهض

بواجباتـه الإنسـانية تجـاه ذويـه ، ويـترك العلاقـة بيـنهن وبـين زوجتـه لتفاعلاتهـا الطبيعيـة ولـدروس الأيـام وخبرتهـا الثمينـة بغـير أن يسـمع لطرف عن الآخر أو يتأثر به ضده .

إن من الأفضل دائمًا أن تكـون العلاقـة بـين الطـرفين طبيعيـة ، ومـن واجب الزوجة التـى تعـرف ربهـا وتخشـى عقابـه ، أن تعمـل مـن جانبهـا على تحسين علاقـة زوجهـا بأمـه وإخوتـه ، وأن تحثـه علـى أداء واجباتـه الإنسانية تجاههم إذا لمست منه تقصيرًا فى ذلك ، ليس فقط عملاً بهدى دينهـا وتعاليمـه الأخلاقيـة ، وإنمـا دفـاع كـذلك عـن نفسـها ضـد غوائـل الأيام ، وطلب للسلامة فى النهايات ، كما كـان الحـال فـى البـدايات ، إذ كيف تطمئن زوجة عاقلة إلى زوج لم يرع حدود ربه فى علاقتـه بأمـه وإخوته . وكيف تأمن لمن لا يخشـى وعيـد ربـه ، لمـن يعـق أمـه أو يقطـع رحمـه ، وتركن إليه مطمئنة إلى أنه سوف يرعـى معهـا إلى النهايـة مـا لم يرعه من حدود ربه مع أمه ؟

إنـه دفـاع عـن الـنفس كمـا هـو امتثـال للتعـاليم الدينيـة ، فالرحمـة لا تتجزأ وكذلك الأخلاق والوفاء والعـدل الإنسـانى ومـا أشـبه الزوجـة التـى تسعد بانتصـارها المرحلـى علـى الأم فـى معركـة الاسـتحواذ علـى زوجها بمن يسعد بنجاحه فى تدريب شريك حياته على الغـدر والجحـود والجرأة على قطع الرحم ، فلا يلبث بعد حين أن يكتوى بثمار غرسه ، ويجد نفسه يتعامـل مـع مـن لا رادع لـه مـن ضـمير ولا ديـن يردعـه عـن

الغدر به أو الاجتراء على حرماته .. فهل هذا هو ما تريده مثل هذه الزوجة الشابة لنفسها ؟! وهل هذا الابن سعيد بضعفه وعجزه عن تحقيق التوازن المطلوب بين زوجته وأمه وشقيقتيه ؟! وهل هو فى حاجة لمن يذكره بحقوق أمه عليه .. إذا افتقد المذكر من شريكة حياته ؟



غرباء فى الليل !

أنا موظف بدرجة مدير عام ، أبلغ من العمر ٥٤ عامًا ، وقد تزوجت منذ ربع قرن زواجًا تقليديًا من إحدى قريباتى ، وأحببت زوجتى حبًا عميقًا جارفًا كما بادلتنى هى حبًا بحب ، ورزقنا الله بابنتين جميلتين، ثم سنحت لى فرصة السفر للخارج ، فسافرت للعمل بإحدى الدول وضحت زوجتى بعملها وتفرغت لرعاية البنتين والبيت ، وكنت أرجع إلى أسرتى لمدة شهر كل ستة أشهر ، فأقضى أيامى مع زوجتى وأسرتى فى سعادة وانسجام إلى أن مضت عشر سنوات كاملة من الغربة ورجعت للاستقرار فى بلدى ، ورزقنا الله بالمولود الثالث وكان ولدًا واكتملت به سعادتنا ، وتخرجت الابنة الكبرى ، وتمت خطبتها وأوشكت الثانية على التخرج ، أما الابن الأصغر فقد بلغ نهاية المرحلة الابتدائية ، وبعد عودتى من العمل فى الخارج كنت أسحب من مدخراتى لتغطية نفقات الأسرة التى تتزايد عامًا بعد عام ، ونفقات التعليم والدروس

الخصوصية إلخ ، حتى نفذت كل مدخراتى بعد ١٤ عامًا من العودة وفقدت السيارة التى كنت أمتلكها ولم أستطع شراء غيرها ، ولم أعد أملك سوى راتبى الحكومى وهو يكفى بالكاد لمواجهة الضروريات ، لكنه ببركة من الله نظهر أمام الجيران والأهل بمظهر راق ومستوى جيد والحمد لله .

والمشكلة يا سيدى هو أن زوجتى بعد العشرة التى دامت بيننا ٢٥ عامًا ، وبعد أن كبرت الابنتان وقل دخلى وفقدنا السيارة التى كانت الأسرة تعتبرها الواجهة الاجتماعية الملائمة لنا ، بدأت زوجتى وبناتى يبتعدن عنى ، وراحت زوجتى تسمم أفكار البنتين ضدى حتى استطاعت أن تجعل منهما حزبًا ضدى ، بعد أن صورت لهما أننى قيد على حريتهما وسعادتهما ، ولقد حدثت زوجتى كثيرًا عن أن ذلك ليس فى صالح الأسرة فلم تستجب لى ، وأصبحت لا تهتم بمظهرها فى البيت وتهمل شئونه ، كما بدأت تتعمد التهرب منى كزوجة ، إلى أن هجرت منذ ٦ أشهر غرفة نومنا ولجأت إلى حجرة البنتين ، وكلما عاتبتها على ذلك قالت لى إنها تقترب من الخمسين ، ولم يعد لها «خلق» على شىء بل ونصحتنى بالزواج من أخرى ، وهى تعلم جيدًا أن إمكاناتى لا تسمح لى بذلك .. فهل كل امرأة تبلغ الخمسين تصبح فاقدة للحياة على هذا النحو ؟

لقد أصبحنا الآن نعيش فى بيت واحد كالغرباء فى الليل والنهار، لا نتبادل الحديث إلا فى أضيق الحدود وللضرورة القصوى . وانعدمت

بيننا المودة والرحمة ، وكلما ضقت بأمرى تساءلت : هل كانت تفعل ما تفعل الآن أو تقول ما تقوله لو كان عندى المال الوفير كما كنت فى الماضى ؟

إننى أعيش فى حرمان عاطفى وأخشى الوقوع فيما يغضب الله ولو بالنظرة الحرام فى هذه السن ، وقد عصمنى الله بعد الزواج فإذا كانت لى أخطاء قبله فإنى أدعو الله دائمًا أن يغفرها لى بعد أن ندمت عليها .. وزوجتى بتصرفاتها هذه تدفعنى دفعًا إلى أحد أمرين : إما الوقوع فى الخطأ .. أو الزواج من أخرى ، وحولى فى العمل ومن المعارف من فاتهن قطار الزواج أو من طلقن أو ترملن ويقبلن بمثلى ، لكن أسرتى سوف تتحطم فى هذه الحالة ، وقد يؤثر ذلك على إتمام زواج ابنتى الكبرى ، وابتعاد الخطَّاب عن أختها مع أن الجميع يعتبرونها أسرة مثالية ، ولست أريد أن أدمر هذه الصورة الجميلة ولا أن أؤثر على معنويات الابن الأصغر ، لهذا فإنى أرجو أن تقدم النصيحة لزوجتى وهى من المعجبين ببابك وتقرأه بانتظام ، وأن تؤكد لها أنه إذا كان قلبى قد تغير بعض الشىء تجاهها بسبب تصرفاتها معى ، فإننى لم أكرهها ومازال يراودنى الأمل فى إصلاحها وعودة المياه إلى مجاريها بيننا ، لأنه ليس هناك أب يتمنى التعاسة لأبنائه وأحبائه .. وشكرًا ..

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

إذا لم تكن هناك أسباب أخرى لا أعرفها لهذا النفور الذى تبديه زوجتك تجاهك الآن ، فإنى أقول لها إنها تأثم بذلك أشد الإثم ، وإنك لو أصبت إثمًا نتيجة لهذا النفور ، غير المبرر وهذا الحرمان كان عليها بعض وزره .

فأما مسألة «فقد الحياة» عند سن الخمسين أو بعدها بالنسبة للمرأة فلا أساس لها من الصحة ، والمرأة الحقيقية كما تقول العبارة الأمريكية الشهيرة ، لا يتقدم بها العمر أبدًا ولا تفقد رغبتها فى الحياة ذات يوم ، فإذا كان ثمة نفور قد حل بينكما فلعله من أثر بعض التراكمات القديمة التى تختزنها الزوجة خلال رحلة السنين ، وتعبر عنها لا إراديًا حين تجد فى نفسها القدرة على الصمود والمواجهة .. ولعله أيضًا من أثر ما يسميه البعض بالكسل المعنوى ، الذى يفقد معه البعض الرغبة فى استمرار بذل الجهد للارتقاء بالنفس والحفاظ على الحيوية ورعاية حقوق الآخرين ، وهو كسل قد تعانيه الزوجة فلا تدفعه عن نفسها بقوة الإرادة والإحساس الداخلى بالشباب مهما بلغت من العمر ، وإنما تستسلم للخمول والجمود وفقد الحماس للاحتفاظ بالرونق القديم .. والإقبال على الأشياء ، وقد يصاب به الزوج كذلك فيكف عن الاهتمام بمظهره والعناية باختيار كلماته وإشاراته وعن بذل الجهد لاجتذاب الطرف الآخر إليه ، كما قد يصاب به الإنسان أيضًا حتى فى علاقاته الاجتماعية الأخرى فيتهرب به من أداء الواجبات .. ويضن

بالجهد اللازم للحفاظ على حرارة العلاقات الإنسانية مع الآخرين ، ولعل هذا الفتور قبل ذلك وبعده من أثر أزمة منتصف العمر لدى المرأة وما تستتبعها من بعض المشاكل البيولوجية التى يمكن تفادى أثارها بسهولة ويسر باستشارة الطبيب المختص .

وفى كل الأحوال فليس من صالح الوئام العائلى واستقرار الأبناء وسعادتهم أن يحل الفتور والجفاء الصامت بين الزوجين ، ولا هو من صالح الأسرة أن يجيش أحد الأبوين بعض الأبناء ضد الطرف الآخر ، ولا أن تنقسم الأسرة إلى معسكرين يقود كل منهما طرفًا من طرفى العلاقة الزوجية ، ويحشد لنفسه فيه الأنصار والمؤيدين ، فالأسرة ليست ميدانًا للصراع واستقطاب الأبناء ضد أحد الأبوين ، وإنما هى أرض التواد والتراحم والتعاون المشترك على رعاية الأبناء وحمايتهم من الأنواء ، كما أن نقص الإمكانات المادية لا يمكن أن يخصم أبدًا من جدارة الزوج بحب زوجته وأبنائه مادام لا يبخل عليهم بما ملكت يداه ، ولا يقصر فى بذل الجهد لرعايتهم وتحمل مسئولياتهم والحدب عليهم ، والكفاح بإخلاص فى الحياة من أجلهم .

فعلاقة الزوج والأب بزوجته وأبنائه ليست علاقة استثمارية تزدهر كلما زاد الدخل والعائد .. وتتراجع أو تنكمش كلما انحسرت الأرباح وقلت المكاسب ، فإذا كانت زوجتك تعرض عليك الزواج من أخرى حلاً لمشكلتها تلك ، فلعلها تعرف عن نفسها أنها أول من ستشقى بهذا الاقتراح إذا تحقق ، وأن أبناءها هم أول من سيدفعون ثمنه بالسلب من

استقرارهم وأمانهم إذا دخل ذات يوم حيز التنفيذ ، بل إنها لم تطرح هذا الاقتراح من الأصل إلا لتأكدها من استحالة تنفيذه .

فلتفض إذن عن نفسها هذا الكسل المعنوى ولتحاول أن تبذل بعض الجهد لإعادة الجو الأسرى الدافىء إلى حياتها وحياة أبنائها ولتبذل أنت أيضًا بعض الجهد فى تنبيه مشاعرها واجتذابها إليك وتذكيرها بحبك وإخلاصك لها ، وإصرارك على تجديد الروابط العاطفية معها .

ولنأمل خيرًا فى حكمتها وأمومتها وقيمها الدينية كزوجة فى أن تتجاوز سريعًا هذه المرحلة ، وتنفض عنها غبار الاستسلام لفكرة السن التى لا أساس لها من الحقيقة .. وتتفتح للحياة من جديد وشكرًا ..



روح المغامرة !

أنا سيدة فى السابعة والثلاثين من عمرى أعمل بالتربية والتعليم ومتزوجة منذ عشر سنوات ، ورزقنى الله بطفلة فى التاسعة وولد فى السادسة من عمره . ولقد تزوجت عن حب وتفاهم وزوجى رجل طيب القلب ، وكريم مع أسرتى ولا يقصر أبدًا فى توفير احتياجاتنا . غير أن مشكلتى تتمثل فى شخص واحد هو والده ، فهو رجل غريب يكره البشر ويطلق على كل إنسان يتعامل معه اسم نوع من أنواع الحيوانات ، كما أنه يصبغ شعره ويعتقد أنه مازال فى ريعان

شبابه ، وقد تزوج ست مرات حتى الآن ويحاول بكل جهده أن يدمر استقرار حياتى مع زوجى ، بالرغم من أننى لم أسىء إليه فى شىء وأعامله دائمًا بود واحترام ، ولقد دخل المستشفى منذ فترة فتودد خلال وجوده فيه إلى ممرضة وحاول إقناعها بخطبتها إلى ابنه أى لزوجى بزعم أنه أعزب وليس متزوجًا ، وعلمت بذلك فتوجهت إليها وقدمت إليها نفسى وأولادى وتعجبت من أننى جميلة وأنيقة ودائمة الابتسام

ولا يوجد مايدعو زوجى للزواج علىّ ، ولا ما يدعو والده لإغرائها بالارتباط بابنه وقطعت علاقتها به واعتذرت لى وشعرت بالراحة لانتهاء هذه الأزمة التى كادت تعصف ببيتى ، لكننى لم أهنأ بالراحة كثيرًا إذ لم يطل الوقت ثم بدأ صهرى من جديد محاولة أخرى ، فقدم زوجى إلى شقيقة زوجته السادسة ، وكانت زوجته فى ذلك الوقت تكثر من زيارتها لأنها فى حالة خصام معه فراح يصطحبه معه فى زياراته لزوجته وشقيقتها ويبذل كل جهده للتقريب بينه وبين الشقيقة ، وأحسست بالخطر الداهم مرة أخرى وتساءلت فى حيرتى وضيقى : لماذا لا يريد صهرى لى أن أهنأ بالراحة والاستقرار فى حياتى الزوجية ؟ وفاض بى الكيل فواجهت زوجى بما علمت وأنكر أنه كان يعتزم الزواج من هذه السيدة ، وأقسم أنها لم تكن سوى نزوة عابرة هيأها له والده ولسوف ينهيها على الفور ويتفرغ لبيته وأولاده والمشكلة هى أننى قد أصبحت أعيش الآن فى جحيم دائم من الغيرة والشك والخوف على زوجى من أبيه وإغراءاته له ، ولقد حاولت مرارًا أن أجعل منه شخصية مستقلة عن أبيه بلا جدوى ، وأسأله دائمًا ماذا ينقصنى لكى « ينظر » إلى غيرى من النساء وأنا جميلة وحريصة على زوجى وأولادى وربة بيت ممتازة فيعتذر لى ويعدنى بالإخلاص لى فى معظم الأحيان ، وفى أحيان أخرى يغيظنى بقوله إنه لابد له أن يتزوج مرة أخرى بالرغم من أنه لا يشكو شيئًا منى لأن من شابه أباه فما ظلم !

والآن فإن زوجى يا سيدى يريد أن يتركنى ويسافر إلى أمريكا لكى يجرب حظه هناك ، بالرغم من أنه ميسور الحال ويشغل وظيفة محترمة وله رصيد فى البنك ولديه بيت يجرى تأسيسه ، وليس هناك ما يدعوه للسفر والبعد عن أسرته ، وأنا أخاف ربى وأخشى على نفسى فى غيابه وأخشى أكثر من الفراغ الذى سيتركه سفره الطويل وطول غيابه عنى وعن أبنائه ، فأرجو أن تناشده أن يبقى معنا ويشكر الله على ما هو فيه من نعم كثيرة ، لأننا راضون بما أعطانا الله كما أننى لا أستطيع تحمل أعباء تربية الأبناء وحدى ، وأرجو أيضًا أن تناشده أن يتقى الله فى زوجته وأبنائه وأن يحسن معاملتى ويحرص علىَّ كما أحرص عليه ، كما أرجوك رجاء حارًا أن تناشد والد زوجى أن يدعنا أنا وزوجى لشأننا لكى تستمر الحياة الزوجية بيننا ونربى أبناءنا بين أبويهما فى بيت هادئ مستقر ، وأن يتقى الله فى هذه المرحلة من عمره ويتقرب إليه بالعمل الصالح بدلاً من أن يتدخل فى خصوصياتنا بهذه الطريقة المؤلمة ، لكى أشعر بالأمان والاستقرار فى حياتى وشكرًا لك .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

زوجك يا سيدتى يحاول تكرار « مثال » أبيه فى عشق الحياة وروح المغامرة ومحاولة اعتصار ثمرة المتعة حتى آخر قطرة فيها ، ووالده يكرر بدوره مثال عاشق الحياة زوربا فى رواية « كازنتراكس » الشهيرة حيث كان يرى أن غاية الدنيا هى العشق والمتعة بكل أنواعها ومن كل سبلها بلا تحفظ !

وما أكثر أشباه مثل هذه الشخصية «التلذذية» التى تطلب كل ما يحقق لها المتعة بغض النظر عن المسموح والممنوع منها ، وبغير توقف أمام ما يدفعه الغير من ضرائب غالية لذلك ، وما أقل إدراكهم لمسئولياتهم الأخلاقية والإنسانية تجاه ذويهم وتجاه الحياة بوجه عام.

وأمثال هؤلاء إذا تزوجوا ، فإنهم يتعاملون مع الزواج غالبًا كمتعة مشروعة أو عشق مقنن لمفاتن الأنثى ، وهو مفهوم أبيقورى آخر لا يصمد طويلاً للزمن ولا يحقق غاية الزواج الأسمى الذى يراه الفضلاء على حد تعبير الشيخ محمد الغزالى يرحمه الله « إقامة بيت على السكينة والأداب الاجتماعية فى إطار من الإيمان بالله والعيش وفقًا لهديه وتعاليمه » .

أو ذلك المفهوم الرشيد الذى يترجمه عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا فى دعائهم فى محكم آيات الذكر الحكيم :

« ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إمامًا ».

والزواج بهذا المفهوم الرشيد هو استقرار للعين على ما تشارك صاحبها رحلة الحياة ، وعلى أبنائه منه ، والسعادة بهم وتكريس الحياة لهم ..

أما العين المتنقلة الذواقة فهى عين خؤون تجر صاحبها دائمًا إلى الاضطراب والضياع والمشاكل ، ومن عجب أن يكون الأب الذى يفترض فيه أن يحمى أبناءه من تكرار أخطائه وعثراته الشخصية فى

الحياة هو الذى يغرى الابن بالسير فى نفس الطريق الذى سلكه من قبل وخبر دروبه ودفع أبناؤه ثمنه غاليًا من استقرارهم وأمانهم فى الحياة ، ومن عجب أن يستجيب الابن لنداء السير فى هذا الطريق وقد خبر هو نفسه ضريبته الباهظة على حياته العائلية ونشأته المضطربة ، وتمزقه السابق بين أبويه ، فكأنما لم يستفد أحد بتجربته .. ولم يتعلم أحد شيئًا من أخطاء الرحلة .

غير أننى أتصور أن زوجك يا سيدتى بالرغم من كل الظواهر البادية لن يكرر مثال أبيه فى الحياة لسبب جوهرى هو أنه قد تجرع هو شخصيًا مرارة الإحساس بافتقاد الاستقرار العائلى - وانشغال الأب بزيجاته المتكررة ، وغياب دور الأب الصالح فى حياته ، ومن الآباء من يحرصون على أن يجنبوا أبناءهم أشواك الطريق التى كابدوها هم شخصيًا من قبل ، وأحسب أنه واحدمن هؤلاء الآباء بالرغم من تردده بين الضعف والاستجابة لإغراء الأب وبين عاطفته تجاه زوجته وأبنائه ورغبته فى حمايتهم من الضياع .

فهو يتراوح بين الاستجابة لرغبة الأب فى أن يكرر صورته فى الحياة، ومحاولة تقمص روح المغامرة التى حكمت حياة أبيه ، والعطف على أبنائه وزوجته والخوف عليهم من أن يدفعوا ما دفعه هو ووالدته من ضريبة ظالمة لمغامرات أبيه وزيجاته المتكررة .

ولهذا فهو لا يمضى فى الشوط حتى آخره ، وإنما يستعيد رشده بعد حين ويعتزم الإخلاص لزوجته وأبنائه ، إلى أن يهيئ له الأب مغامرة جديدة فينساق وراءه لبعض الوقت .

ونصيحتى له لكى يعفى نفسه من هذا التمزق بين الرغبة فى أن يتقمص شخصية أبيه وتكرار مثاله فى الحياة ، والرغبة فى العيش فى أمان مع زوجته وأبنائه ، هى أن يثق تمامًا بأنه إنسان مختلف عن أبيه له شخصيته المستقلة وسماته الخاصة التى تميزه عنه ، كما أنصحه أيضًا بأن يتمثل مشاعره تجاه أبيه وهو طفل صغير أو صبى برئ حين كانت تشتد عليه معاناته من التمزق العائلى وإحساسه بالنبذ والإهمال من جانب الأب المشغول بنفسه ومتعته ، وأن يتنبه جيدًا إلى أن نفس هذه المشاعر السلبية المتضاربة سوف ينطوى له عليها أطفاله حين يحاول تكرار مثال أبيه فى الحياة ، فهل يحب لنفسه أن يحمل له أبناؤه ذات يوم ما كان يحس به هو نفسه من مشاعر سلبية تجاه أبيه ..!

إن رغبته فى السفر لأمريكا بغير حاجة ضرورية إلى ذلك ليست سوى صدى لتأثره بشخصية أبيه المغامرة ، ومثل هذه الرغبة يكفى للتنازل عنها أن تعلنه زوجته بخشيتها على نفسها فى غيابه ، وعجزها عن تحمل مسئولية الأبناء وحدها دونه .. أفليس هو إذن من الرجال ذوى النخوة الذين لا يحتاجون إلى التصريح اعتمادًا على ما يكتفى به ذوو الألباب من تلميح !

إننى أثق بأنه واحد من هؤلاء الرجال .. لكن فساد المثال والقدوة التى يمثلها الأب فى حياته ، قد طمس بعض جوانب شخصيته الطيبة وأتصور أنه لن يلبث أن يستعيد نفسه ويدرك مسئولياته تجاه زوجته وأبنائه ، كما أننى أثق كذلك بأن روح المغامرة التى يحاول الآن بتأثير أبيه أن يستجيب لها ليست سمة أصيلة فى شخصيته ، وإنما هى عرض عابر نتيجة لمؤثرات هذا الأب ولن يستمر طويلاً .

أما والده فبالرغم من نفورى مما يمثله من قيم ومبادئ فى الحياة ، فإنى أقول له إنه إذا كان قد فاته أن يحسن لأبنائه وهم صغار وأن يوفر لهم الاستقرار العائلى والأمان ، ألا يحسن به وقد بلغ من العمر قمة النضج أن يحاول الإحسان إليهم وهم كبار ، فيحميهم من مؤثرات شخصيته التلذذية ويكف عنهم أذاه .. وإغراءاته رحمة بأحفاده .. إن لم يكن رحمة بهؤلاء الأبناء أنفسهم !



القيد الثقيل !

أنا رجل فى الأربعين من العمر ، سافرت للعمل فى الخارج منذ ١٦ عامًا بغير أن أرتبط بفتاة للزواج ، وأمضيت عامين كاملين فى غربتى دون الرجوع إلى مصر ، ثم رجعت فى إجازة وارتبطت على عجل بفتاة من مدينة أخرى غير مدينتى ، وأمّلت فى أن ينشأ الحب بينى وبينها بعد الزواج ، ورزقت بأربعة أطفال صغار .. ثم اختتمت رحلة الغربة منذ شهور بالعودة النهائية لمصر على أمل تحقيق الحلم الوردى لى ولزوجتى بالاستقرار فى بلدنا وبدء مشروع تجارى

بمدخرات الغربة . غير أننى لم أبدأ بعد الخطوة الأولى فى هذا المشروع لأننى أعيش فى مشكلات مستمرة مع زوجتى خصوصًا بعد عودتنا النهائية لمصر ، وقد تسألنى عن أسباب الاختلاف بيننا فأقول لك إن زوجتى كسول للغاية ، وهى بالرغم من أنها خريجة جامعية إلا أنها لا تعمل بسبب الكسل ، كما أنها بعد ١٣ عامًا من الزواج لم تفهمنى

حتى الآن ، ولكل منا عالمه الخاص ، وبالرغم من أنها محجبة وملتزمة وتعرف كل شيء عن مشكلات العالم الإسلامى إلا أنها لا تعرف كيف تصحو من نومها مبكرًا لإعداد الإفطار لزوجها وأولادها .

بماذا تنصحنى أن أفعل ؟ هل أبدأ المشروع وأواصل هذه الحياة الزوجية ولكل طرف فيها وجهة مختلفة من أجل أربعة أطفال لا ذنب لهم فيما فعل الكبار ؟! أم هل أتحرر من هذه الزوجة وأبدأ حياتى ومشروعى مع زوجة أخرى لأننى أشعر بأننى لن أنجح اقتصاديًا إلا بعد التحرر منها ؟ أم هل أبقى على هذه الزوجة وأترك لها الأبناء وأمضى فى قطار الحياة مع زوجة أخرى وكلما وجدت فضلة من الوقت قضيته معها عقابًا لها على ما تسببت لى فيه من دمار نفسى ومادى بسبب كسلها وإسرافها وأمراضها الاجتماعية الأخرى ؟

إننى أرجو أن تأخذ بيدى وتدلنى على الطريق الذى أبدأ به حياة عادية لأننى فى تعب شديد وأخشى على نفسى من أمراض الضيق والحزن والندم .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أولم تكتشف أن زوجتك تمثل بالنسبة لك قيدًا ثقيلاً لن تنجح - اقتصاديًا - بغير التحرر منه إلا بعد أن أنجبت منها أربعة أطفال صغار أكبرهم لا يمكن أن يكون قد بلغ الثانية عشرة من عمره ؟

ثم ما هو « العمل » الذى تطلب من زوجتك القيام به لكى تنفى عن نفسها تهمة الكسل وتثبت لك به أنها شعلة متأججة من النشاط والحيوية ؟

أوليست رعاية أربعة أطفال صغار وإدارة شئون البيت والأسرة « عملاً » فى حد ذاته يكفى لشغل أوقات زوجة مثلها وقد يستنزف أيضًا كل طاقتها وحيويتها ؟

وهل جربت أنت أن ترعى شئون أربعة أطفال وتتحمل مسئوليتهم النفسية والأدبية والتربوية وتدير شئون أسرة من ستة أشخاص لكى تحكم حكمًا صادقًا عما إذا كان هذا « العمل » لا يكفى فى حد ذاته لشغل كل أوقات فراغك واستنزاف طاقتك ؟.

قد يكون لك كأى زوج بعض التحفظات على زوجتك ، وقد يكون لزوجتك عليك أيضًا تحفظات مماثلة وربما أكثر ، لكن السؤال المهم هو : هل ترقى هذه التحفظات إلى المستوى الذى يجعل استمرار الحياة الزوجية بينكما مستحيلاً .. ويجعل من التخلص من قيد هذه الحياة الزوجية الأمل الوحيد للنجاح والتقدم؟

إننى أترك لك أنت الإجابة العادلة عن هذا السؤال لأنك لم تشر فى رسالتك سوى إلى كسلها عن النهوض مبكرًا لإعداد طعام الإفطار لك وللأبناء ، وإلى ما تسميه « إسرافها وأمراضها الاجتماعية الأخرى » مما

لا يمكن الحكم بموضوعية كاملة عليه ، فى حين تشير على الناحية الأخرى إلى التزامها وإلمامها بكل « شئون العالم الإسلامى » .

فأما الكسل والإسراف فهما من « الأناشيد » المعتادة فى كثير من البيوت الزوجية ، ولو توقف أمامهما وحدهما كل زوج لخلت أعشاش كثيرة من ساكنيها ، كما أنه من الإنصاف أيضًا أن أقول لك إنهما وحدهما لا يمكن الاعتماد عليهما فى الحكم باستحالة الحياة بين الزوجين لأن كلاً منهما « نسبى » وليس حقيقة مطلقة ، وما قد تعتبره أنت « كسلاً » قد يتجاوز عنه آخرون يلتمسون لزوجاتهم العذر فيه بإجهادهن فى رعاية الأطفال وإدارة شئون البيت ، وما تعتبره أنت « إسرافًا » قياسًا على ظروفك ، قد تعتبره زوجتك « عدلاً » بمقاييسها ، وقد يعتبره آخرون غيرك « تقتيرًا » بالمقارنة بإنفاقهم وإنفاق زوجاتهم .

والكاتب الفرنسى بسكال يقول : الصحيح هنا .. خطأ وراء جبال البرنييه ! إشارة إلى الجبال التى تفصل بين فرنسا وأسبانيا بمعنى أن ما قد يكون خطأ هنا قد يكون صوابًا هناك ، لاختلاف الظروف والقيم السائدة والتقاليد .

ولهذا كله فلست أتفق معك فى أنك قد بلغت فى علاقتك بزوجتك الحافة التى ليس وراءها سوى الهاوية .

وإذا كنت تقول إنك لن تنجح اقتصاديًا إلا إذا تحررت من هذه الزوجة . فلعلى أقول لك إن الزواج من أخرى مع الإبقاء على

زوجتك .. أو طلاقك لها للتزوج من غيرها ، هما أبعد ما يكونان عن التفكير السليم فى النجاح الاقتصادى أو غير الاقتصادى ، بسبب بديهى هو أن هذا النجاح يتطلب الاستقرار النفسى والتوجه بكل طاقتك الذهنية للعمل والسعى لإنجاحه ، وكلا الأمرين اللذين تتردد بينهما يفتح أبواب القلاقل والاضطراب والتشتت فى حياتك على مصراعيها ، ولسوف تجد نفسك سواء أبقيت على زوجتك وتزوجت عليها أم طلقتها وبدأت حياة جديدة مع أخرى ، مستنزفًا من الناحية النفسية والعاطفية والمادية ومثقلاً بمشكلات أخرى رهيبة لن تسمح لك بالتفرغ لعملك ولا بالأمل فى النجاح الاقتصادى والمالى . كما أنك فكرت فى كل البدائل المتاحة لحياتك الزوجية ولم تفكر فى البديل الوحيد المنطقى فى مثل ظروفك وهو أن «تجاهد» لإصلاح الأحوال بينك وبين زوجتك ومحاولة حثها على أن تفعل ما يرضيك ويشعرك بالسعادة ، ويشعر أطفالك بالأمان والاستقرار بينكما ، وفى تقديرى أن أحد أسباب المشكلات الحالية بينكما الآن هو وقت الفراغ الطويل الذى أصبح متاحًا لك بعد عودتك النهائية إلى مصر ، فأنت لم تبدأ حتى الآن أول خطوة على طريق مشروعك التجارى ، وتشغل فراغك الطويل بدلاً من الانشغال بالمشروع بتسقط الأخطاء لزوجتك وتسجيل العيوب عليها وليس علاجها ، ونصيحتى لك هى أن تقدم على الفور على إنشاء مشروعك الاقتصادى وأن تنشغل بإجراءاته وتعطى له كل

جهدك وطاقتك ووقتك ، فلا تجد من الفراغ ما يسمح لك بالشكوى من مثل هذه التفاهات ، ولا بالانشغال بمثل هذه الأفكار الحالمة عن «النجاح» الذى لا يتحقق إلا بتعاسة زوجة وأم وأربعة أطفال صغار ولربما عرفت فى الوقت المناسب أنك لم تكن لتنجح فى مشروعك أو فى حياتك العملية من الأصل ، إلا لأن لك زوجة وأربعة أطفال .. قد توجهت إلى ربك بالأمل فى النجاح من أجلهم ومن أجل إسعادهم .. وليس على أنقاض سعادتهم وأمانهم !



الثمن الفادح !

قد تكون مشكلتى هذه غيرة مألوفة بالنسبة لطبيعة رسائل البريد ، ولكنها موجودة على أى حال فى كثير من البيوت المغلقة ولا يجرؤ أحد على المصارحة بها .

فأنا يا سيدى عضو هيئة تدريس بإحدى كليات القمة بالأقاليم ، وعلى قدر كبير من التدين والتمسك بتعاليم الدين وقد شاء حظى أن أكون أكبر إخوتى وأن أكون البنت الوحيدة وسط أربعة ذكور ، ولن أطيل عليك فقد أصاب العجز والشيخوخة أبى وأمى حتى صارا قعيدين لا يستطيعان أن يخدما نفسيهما ..

واستقطعت جزءًا من وقتى أقضى لهما فيه مصالحهما وأعطيهما الدواء وأشترى لهما الطلبات التى يحتاجان إليها ، وقد توليت هذه المسئولية وحدى لوجودى معهما فى نفس البلد ، أما إخوتى الذكور فهم يقيمون فى محافظات أخرى لظروف العمل .

ثم حدث أن مرض والدى مرضًا شديدًا استدعى نقله للمستشفى لفترة لا يعلم نهايتها إلا الله ، ونظرًا لشيخوخة والدتى وعدم

استطاعتها البقاء معه كمرافق فى المستشفى .. توليت أنا هذه المسئولية عن اقتناع تام بمسئوليتى نحوه واضطرنى ذلك إلى الغياب عن بيتى كثيرًا ومبيتى كل ليلة فى المستشـــفى بجواره ، حتى مضت الأيام بطيئة ووالدى لا يتحسن، وإخوتى الذكور يحضرون من مدنهم زائرين أقرب منهم إلى أن يكونوا مشاركين فى تحمل مسئولية والدهم ، فأثار ذلك حفيظة زوجى وبدأ شيئًا فشيئًا يتبرم من إلقاء المسئولية كلها على عاتقى وحدى وبدأ يحدثنى عن أن إخوتى يتهربون ، ويتعللون بأن ظروف العمل والغربة لا تسمح لهم بأكثر من إجازة عارضة لا تزيد على يومين، ووجدتنى عاجزة عن تلبية مطالب بيتى وإرضاء زوجى وخدمة والدى الذى أعجزه المرض عن الحركة فصار ثقيلاً فى الوزن ، ويحتاج لمن يحمله ، لكى يرتدى أو يغير ملابسه أو يستحم أو لكى يجلس ليتناول طعامه وأنا على مشارف الخمسين من عمرى ، ولا أملك هذه القوة لكى أحمله وأنقله من مكان لآخر حتى أصابنى ألم فى أسفل الظهر. أبكى منه كل مساء قبل النوم ، وقد أغضب ذلك زوجى وثار ثورة عارمة ضد إخوتى وطالب بأن يتناوبوا خدمة أبيهم ، لأن لهم من القوة الجسمانية ما يجعلهم يتحملون مثل هذا النوع من الخدمة ، فتعللوا بأنهم لا يعرفون أصول خدمة المرضى وبظروف العمل إلخ.. وبدأت زوجات الأخوة يمارسن ضغوطًا خفية لاستعادة أزواجهن سريعًا كلما حضروا لزيارة والدى ، وتعقدت الأمور تمامًا بينى وبين زوجى وإخوتى ، إننى يا سيدى أخدم والدى بنفس راضية أملاً فى ثواب الله

.. غير أن حالته قد تدهورت إلى حد لم يعد معه يتحكم فى الإخراج مما يسبب لى حرجًا شديدًا كابنة له عند تنظيفه ، وقد تأثرت أسرتى بسبب انشغالى عنهم بخدمة أبى وظهر أثر ذلك فى نتائج امتحانات أبنائى لسوء حالة البيت ونقص الضروريات وقذارة المطبخ والحمام إلخ .. وإنى أسألك يا سيدى هل خدمة الوالدين المسنين مسئولية الإبنة وحدها لأنها أقدر على ذلك من الأبناء الرجال ؟ وهل يقتصر دور الابن فقط على دفع فواتير العلاج وكتابة النعى فى صفحة الوفيات واستقبال المعزين ثم الوقوف فى ساحة المحكمة لاستخراج إعلام الوراثة لينالوا ضعف نصيب الأنثى من الميراث ؟

إننى مشتتة وزوجى غاضب ويطالبنى بمقاطعة إخوتى ، وأمى وهنت صحتها وإرادتها ولا تستطيع أن تقوم بدور إيجابى فى هذه المشكلة فماذا أفعل ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

من المؤلم حقًا أن يتحول الأب المسن إلى «عبء» يختلف الأبناء حول تحديد مسئوليته .. ومن منهم يتحمله دون الآخرين أو بالمشاركة معهم ، ولقد تذكرت وأنا أقرأ رسالتك هذه كلمة معبرة لجوناثان سويفت مؤلف رواية رحلات جاليفر الشهيرة يقول فيها إن «هبة العمر الطويل تشترى بثمن بالغ الفداحة» .. ولقد قالها الأديب الإنجليزى متشكيًا من فقد الأعزاء والأحباء وحزنه عليهم واحدًا بعد الآخر خلال رحلة عمره التى بلغت ٧٨ عامًا ، فماذا كان عساه أن يقوله لو علم أن

«الثمن الفادح» لا يقتصر فقط على هذا الجانب العاطفى ، وإنما يشمل كذلك عبء الخدمة والرعاية لمن يعجزه الكبر والمرض عن خدمة نفسه، ولمن ينطبق عليه قول الحق سبحانه وتعالى : (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) ، وعفوًا يا سيدتى لهذا الشرود عن صلب مشكلتك فلقد أثارت رسالتك تأملاتى عن أحوال البشر .. ولعلى أقول لك بعد ذلك ، إن خدمة الآباء والأمهات المسنين واجب دينى وإنسانى على كل أبنائهم على السواء .. كل بما يستطيعه من جهد أو رعاية أو مال ، ولقد كان من المنطقى أن يقع عليك العبء الأكبر فى خدمة الأب المريض والأم المسنة ، ليس لأن خدمة الآباء والأمهات هى مسئولية البنات دون البنين، وإنما لأنك الوحيدة التى تقيمين معهما فى نفس المدينة وبقية الإخوة مشتتون بين البلاد ، غير أن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها من ناحية أخرى ، ومادمت تنوئين بهذه الخدمة وحدك وتستشعرين الحرج كابنة فى بعض شئون هذه الرعاية ، ويضيق زوجك بانفرادك بهذه المسئولية دون بقية الإخوة ويتذمر ، فلا مجال للمناقشة النظرية حول على من تقع مسئولية رعاية الآباء والأمهات فى الكبر ، ومن واجب إخوتك فى مثل هذه الحالة أن يبذلوا كل ما يستطيعون من جهد لتخفيف هذا العبء عنك وعن أسرتك ، كأن يتناول كل منهم رعاية الأب لأربعة أيام مثلاً كل شهر ولو اضطروا لتجميع راحاتهم الأسبوعية وتقسيم رصيد إجازاتهم السنوية على الشهور المختلفة ليستطيع كل منهم قضاء بعض الوقت مع أبيه وأمه إلى أن يقضى الله

أمرًا كان مفعولاً ، ولكى يتوافر لك أنت من الوقت ما تمنحينه لزوجك وبيتك وأبنائك حتى ولو تطلب الأمر الاستعانة بممرض خاص يعين الجميع على رعاية الأب المريض ، والمشكلة فى النهاية ليست مستعصية على الحل إذا توافرت روح التعاون والتضحية والعطاء لدى الجميع . بمن فيهم زوجك الذى ينبغى له أن يبدى قدرًا أكبر من التفهم لظروفك ومسئوليتك تجاه أبويك فى هذه المرحلة من العمر ، وليتذكر جيدًا أنك بما تقدمين لأبيك وأمك من عطاء وما تتحملينه من عناء من أجلهما إنما تضربين المثل لأبنائه هو فى البر بالأب ورعاية حقوقه عليهم ، وتحمل العناء من أجله .. فليكن إذن أكثر فضلاً ونبلاً من أن يحرضك على قطع صلة الرحم بينك وبين إخوتك حتى ولو تقاعسوا بعض الشىء عن مشاركتك فى العبء الذى تشتكين منه ، فقطع الرحم إثم فادح ولا يجوز لزوجك أن يوردك مثل هذا المورد الذى يعرضك لغضب ربك وينقص من أجرك عنده على برك بأبويك ورعايتك لهما فى الكبر والسلام .



الشاب الخجول !

أكتب لك للمرة الثالثة وأرجو أن تهتم برسالتى لأنها مهمة للغاية ليس لى وإنما لابنة صديقتى العزيزة وزميلتى فى العمل ، فهذه الفتاة تبلغ من العمر عشرين عامًا وهى طالبة فى السنة النهائية بكلية جامعية مرموقة ، وفتاة جميلة للغاية ومهذبة ومتدينة وتعرف حدود ربها وقد تقدم لها شاب وسيم من أسرة محترمة عمره - ٣٠ عامًا - ويعمل عملاً مرموقًا وتمت قراءة الفاتحة وشراء الشبكة ولم يتردد الخطيب الشاب كثيرًا على خطيبته بعد الخطبة لأنه كما قيل لأسرة فتاته

شاب خجول ومحافظ ويتحرج من التردد بكثرة على فتاته قبل القران ، وهكذا فقد طلبت أسرته بعد شهر واحد من قراءة الفاتحة عقد القران لكى يتمكن الشاب الخجول من زيارة خطيبته بلا حرج ، واستجابت أسرة الفتاة لهذا المطلب بلا تردد وتم عقد القران فى أكبر ناد وأقيمت حفلة جميلة وسعدت الفتاة وأسرتها بارتداء الفستان الأبيض ، وأقسم الشاب الخجول لفتاته أن يكرس حياته لها وألا يعرف سواها طوال

العمر ، وبعد شهر واحد من القران اكتشفت الفتاة وأسرتها أن الشاب الخجول المحافظ الذى كان يتحرج من زيارة خطيبته قبل عقد القران ، على علاقة بسيدة مطلقة تكبره بـ ١٥ عامًا ولها أربعة أبناء وكان هو السبب وراء طلاقها وهدم أسرتها وأنه قد تزوجها بعقد عرفى ، وقد عرفت الأسرة والفتاة هذه الحقيقة المؤلمة من السيدة نفسها التى جاءت إلى بيت الأسرة وروت لها والفتاة قصتها مع هذا الشاب وكيف أنه تزوجها بمقتضى هذا العقد العرفى ، أما تاريخ هذا العقد العرفى فهو للدهشة عقب عقد قرانه على هذه الفتاة الجميلة الطيبة بأسبوع واحد .

وأصيبت الأسرة والفتاة بصدمة هائلة واستدعى والد الفتاة خطيب ابنته وواجهه بما عرفه عنه ، فإذا به يعترف به ببساطة ويدافع عن نفسه بأنه خطأ قد وقع فيه واستدرجته إليه هذه السيدة ولن يكرره مرة أخرى ويطلب العفو عنه .

ولدهشة الجميع ، فلقد اعتبر الأب هذا الاعتراف تسليمًا بالخطأ وتعهدًا بإصلاحه ، وبالتالى فلقد تجاوز عنه قائلاً : إن الله غفور رحيم ، ومؤكدًا أن الشاب سوف يقطع علاقته بهذه السيدة ولن يرجع إلى الخطأ مرة أخرى وهدأت الزوبعة بعض الشىء وانتظم ومضت فترة قصيرة من الزمن فإذا بالأسرة تكتشف أن علاقته بتلك السيدة لم تنقطع يومًا واحدًا وأنه قد اصطحبها فى رحلة إلى بورسعيد لمدة أسبوعين وكان مصدر الخبر هو هذه السيدة نفسها ، التى قالت لأسرة الفتاة إنها

تحبه وهو يحبها ولا يستطيع الاستغناء عنها أبدًا ، وأنه لم يعقد قرانه على هذه الابنة إلا طلبًا للحسب والنسب اللائقين به فقط ، أما قلبه فهو لها دون غيرها وهو شديد الارتباط بها لأنه يحب السهر والفرفشة والرقص والمتعة ، وهى تقدم له كل ذلك فى حين أن خطيبته متدينة ومتحفظة ورفضت خلع الحجاب استجابة لطلبه وبعد أن تأكدت الأسرة من كل ذلك استدعى والد الفتاة خطيب ابنته مرة أخرى وطالبه بالحسنى بطلاق ابنته ، فإذا به يرفض الطلاق ويؤكد أنه متمسك بخطيبته لأخلاقها وتدينها ولن يتنازل عنها .

وليست هذه هى المشكلة الحقيقة ، التى أكتب لك عنها لأطلب مشورتك فيها وإنما المشكلة الأكبر هو أن هذه الفتاة الطيبة نفسها ترفض الطلاق هى الأخرى بالرغم من حزنها الشديد وبكائها المستمر ، ولسبب عجيب هو خوفها من أن تتعرض سمعتها للأذى إذا طلقت من هذا الشاب وتساؤل الناس لماذا طلقها قبل أن يدخل بها ، ولهذا فهى تفضل عدم الطلاق حفاظًا على سمعتها وليس تمسكًا بهذا الشاب الذى تعرف جيدًا أنه لا يصلح لها ، ووالدتها تحاول إقناعها بكل السبل بأن هذا الزواج لن يعدها سوى بالعناء وأنه من الأفضل لها أن تحصل على الطلاق الآن بدلاً من أن تتزوج وتتعذب بخيانات زوجها لها وتعجز عن احتمال الحياة معه فترجع إلى أسرتها ومعها طفل وليد .

لكن الفتاة تجيب على كل هذه المحاولات وهى تبكى الدموع الغزيرة أن الطلاق هو أبغض الحلال عند الله ، وأن هذا هو قدرها ونصيبها وعليها أن تتحمله راضية ، لقد شاركت والدتها صديقتى محاولة إقناع هذه الفتاة الطيبة بإنهاء هذه القصة قبل أن يتفاقم الخطأ ولكن دون جدوى ، فهل تشاركنا فى إقناعها بما فيه خيرها ومصلحتها .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أن يهتم الإنسان بالحفاظ على سمعته أمر مرغوب وقد يتطلب فى بعض الأحيان أن يحرم المرء نفسه من بعض ما تهفو إليه أو يتحمل راضيًا بعض العناء بغير سبب سوى النأى بنفسه وسمعته عن الشبهات ، أما أن يغالى الإنسان فى التحسب لما قد يقوله عنه الآخرون فيقيد بذلك حريته وقدرته على الفعل الصحيح والحركة المشروعة ، أو يلحق بنفسه أبلغ الضرر لغير سبب سوى المغالاة فى الخوف من أذى الألسنة . فهذا أمر مختلف ولا يأمر به دين ولا شرع.

فإذا كانت هذه الفتاة الطيبة ترفض الطلاق من هذا الشاب المستهتر لغير سبب حقًا سوى خشيتها على سمعتها مما قد يصيبها من رذاذ ألسنة الآخرين فهى بلا شك مخطئة فى ذلك ، ومثلها فى استسلامها لإتمام هذا الزواج بالرغم مما ينذرها به من شقاء وتعاسة كمثل من يرى الهاوية فى نهاية الطريق الذى يسير فيه ، ومع ذلك فهو يمضى إليها منومًا أو مستسلمًا كأن سقوطه فيها قدر محتوم عليه ولا حيلة له فيه ! غير أننى أتصور أن خشيتها على سمعتها ربما لا تكون دافعها الوحيد لرفض

الطلاق من هذا الشاب ، وأن هناك عاملاً آخر يتجاذبها مع عامل الخوف من كلام الآخرين هو تأثرها العاطفى وهى الفتاة الصغيرة بريئة المشاعر بهذا الشاب الوسيم المجرب .

ولهذا فقد تكون كراهيتها للطلاق ممتزجة فى أعماقها بالميل العاطفى لهذا الشاب والأمل الحسير فى انصلاح أحواله فى المستقبل .

فإذا كان الأمر كذلك فإنها مطالبة بالصدق مع نفسها وتحديد مشاعرها بدقة تجاه هذا الشاب ، كما أنها مطالبة أيضًا وهو الأهم بإدراك بعض ما غاب عنها من حقائق تتعلق به ، وأولاها أن جرمه الحقيقى ليس فقط فى ارتباطه بسيدة تكبره بـ ١٥ عامًا وملاحقته لها وهى متزوجة من غيره ، حتى تسبب فى هدم أسرتها وتمزيق أطفالها الأربعة .. وإنما وهو الأبشع فى إقدامه على الزواج العرفى منها بعد أسبوع واحد من عقد قرانه على هذه الفتاة . مما يقطع بأن هذه السيدة لم تكن نزوة عابرة فى حياته ولا ماضيًا انطوت صفحته وبدأ يستعد للتطهر منه ، وبدأ صفحة أخرى خالية من الشوائب مع خطيبته ، وإنما هى ماض وحاضر ومستقبل لا تبدو له فى الأفق نهاية قريبة ، وكأن كلاً منهما قدر للآخر لا يستطيع الفكاك منه ولو تمرد عليه ورغب فى التطهر منه فى بعض الأحيان .

وما خطبته لهذه الفتاة وتعجله لعقد قرانه عليها بدعوى الخجل والتحفظ إلا محاولة يائسة منه للهروب من أقداره مع هذه السيدة التى قد يرغب بالفعل فى التخلص منها لكنه يعجز عن ذلك .

وما زواجه العرفى منها بعد عقد قرانه على هذه الفتاة بأسبوع واحد إلا تسليم منه بالهزيمة والفشل فى محاولته العاجزة لإنهاء قصته معها ، فلقد أراد بخطبته لفتاة صغيرة السن بريئة المشاعر متدينة ومحافظة ، أن يفعل ما يفعله آخرون غيره يرتبطون بسيدات يدركون فى أعماقهم أنهم لا يستطيعون مواجهة المجتمع بالزواج منهن ، ولا يستطيعون فى نفس الوقت مغالبة تأثيرهن العاطفى والغريزى عليهم ، فيواصلون علاقاتهم بهن فى السر ويسعون فى نفس الوقت للزواج من فتيات غيرهن يرضون عن أخلاقياتهن ودينهن على أمل أن ينجحوا فى المستقبل فى التخلص من علاقاتهم السرية والتطهر منها .

غير أننى لا أشعر من سياق هذه القصة أن هذا الشاب سوف يستطيع فى المدى المنظور أن يغالب ارتباطه الغريزى والعاطفى بهذه السيدة ، وأغلب الظن أنه سوف يظل لسنوات طويلة موزعًا بين ارتباطه بتلك السيدة التى تلبى له نداء المتعة والغريزة والعاطفة ، ورغبته فى التطهر من هذه العلاقة وتكوين أسرة فاضلة محترمة يواجه بها مجتمعه ولا أحد يدرى من سوف تكسب هذا السباق فى النهاية .. أهى هذه الفتاة العزيزة المتدينة المحافظة ..؟ أم تلك المرأة المجربة الخبيرة بالرجال ؟

فهل هذه الفتاة الطيبة على استعداد لتحمل هذا العذاب ؟

وألا ترى نفسها تستحق أن يرتبط بها شاب مستقيم متدين يخلص لها العهد ولا يتنقل بينها وبين غيرها من النساء ؟

إنها تستحق ذلك بكل تأكيد ولهذا فمن واجبها تجاه نفسها أن تستجيب لنصح الناصحين ، وتكف عن مواصلة السير على الطريق المؤدى إلى الهاوية .. أما سمعتها فسوف يحفظها الله سبحانه وتعالى عليها بإذن الله .. لأن الحقيقة أوضح من أن يخطىء أحد تفسيرها ولأنه إذا كان للناس ألسنة نخشى سهامها ، فلهم أيضًا عقول كثيرًا ما تميز بين الحق والباطل ، وترد كيد الكائدين إلى نحورهم ، والله خير حافظًا ، والسلام .



القارب الفارغ!

أكتب رسالتي هذه تعليقًا على رسالة «النظرة العميقة» للسيدة الشابة التي رحل زوجها عن الحياة بعد عام واحد من الزواج، وكتبت إليك تبثك أحزانها وبداية فإني أقول لك إنني سيدة في التاسعة والعشرين من عمري، تزوجت فور تخرجي في الجامعة وتفرغت لحياتي الزوجية وكان زواجنا مضرب الأمثال في نجاحه وتفاهم طرفيه وحب كل منا للآخر، وبالرغم من أننا لم نرزق أطفالاً فقد كان ذلك سببًا لاقترابنا وليس العكس، وبعد ٥ سنوات من الزواج

مضت كالحلم الجميل رحل زوجي فجأة عن الدنيا بلا أية مقدمات وانطفأت شموع أفراحي وسعادتي، وواجهت الحياة أرملة شابة بملابس الحداد وأنا في السابعة والعشرين من عمري، وحين فقدت زوجي وأصبحت إنسانة وحيدة لم يكن النوم يعرف طريقه إلى عيوني كل ليلة إلا إذا استمعت وأنا في الفراش إلى أحاديث الآخرة وما بعد الموت من أحد الأشرطة الدينية، فكانت هذه الأحاديث التي يراها

البعض مقبضة خاصة فيما قبل النوم هى علاجى الوحيد ودوائى ، كما أننى قد جعلت ليلى نهارى ونهارى ليلى ، فكنت أصحو الليـــل وأنام طوال النهار حتى لا أرى أحدًا من أفراد أسرتى ، وفى لحظات جنون أخرى كنت أقرأ باستغراق شديد صفحات الوفيات لكى أجد عزائى فيها ، وأعرف أن كل الناس لديهم أعزاء يفقدونهم كما فقدت أنا من كان لى الأب والأخ والزوج الحنون ، وخلال ذلك كنت أحاول التصبر بقراءة القرآن وسماع الأشرطة الدينية بالإضافة لقراءتى لأحزان الناس وهمومهم فى بريد الجمعة ، ثم حاول أقاربى إخراجى من أحزانى فكان أهم ما أشاروا به علـى هـو العمـل حيث كنت لا أعمـل ، وساعدنى أقاربى فى إيجاد عمل لى بأجر ضئيل للغاية من الصباح حتى الثانية بعد الظهر ، وحين خرجت لهذا العمل فى البداية كنت أبكى فى الشارع وأنا فى طريقى إليه من غدر الأيام بى .. وشيئًا فشيئًا بدأت أندمج مع صديقاتى فى العمل .. وبدأت أتشاغل بعض الشىء عن أحزانى وأفكارى السوداء .. وبدأت أستعيد حماسى للحياة وحبى لها وبعد حين وجدت أن العمل حتى الساعة الثانية لا يشبعنى ولا يشغل بقية أوقاتى فبحثت عن عمل آخر إلى أن وجدته وأصبحت أغادر بيتى قبل الثانية صباحًا إلى عملى الأول - وأغادره فى الثامنة إلى عملى الثانى فلا أعود إلى البيت إلا فى الثامنة مساءً مرهقة ولا أحتاج إلا إلى النوم ، وإلى جانب ذلك فقد بدأت فى تلقى دروس فى اللغة الإنجليزية

لتحسين مستواى فيها ولكى أرتقى فى عملى ، فإذا كنت لا أنكر أنه مازال فى أعماقى بعض الحزن فإنه ليس الحزن القاتل الذى كان يفترسنى من قبل وأنا بلا عمل وكل أوقاتى خالية .. ولا شىء يشغلنى سوى التفكير المتصل فيمن ضاع منى وما آل إليه حالى .

ولقد كتبت رسالتى هذه لكى تستفيد بها السيدة الشابة كاتبة رسالة « النظرة العميقة » فى محاولة التغلب على الأحزان بالتوجه إلى الله وسؤاله أجر الصابرين ، وبالبحث عن عمل إذا كانت لا تعمل لأن فى العمل سلوى لها عن حزنها والسلام .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

كان من تقاليد البحارة فى أعالى البحار أنهم إذا صادفوا حوتًا ضخمًا ألقوا فى البحر بقارب فارغ ليشغلوه به ويصرفوه عن مهاجمة السفينة التى تقلهم خوفًا من انقلابها بهم وغرقها ، ثم يحاولون بعد ذلك صيد الحوت وهو منشغل بمناطحة القارب الفارغ وينجحون فى ذلك فى أغلب الأحيان .. أو يفوزون بالنجاة من الغرق حين يمل الحوت مناطحة القارب وينصرف عنه وعن السفينة.

والقارب الفارغ الذى ينبغى لنا أن نلقى به دائمًا لحوت أحزاننا لكى نصرفه عن الفتك بنا هو بعد الإيمان بالله والتسليم بقضائه وقدره ، العمل والعمل الشاق الذى يشغل الذهن عن الحزن ويصرفه عن الاستسلام للأفكار والخواطر الحزينة ، ثم المشاركة فى الاهتمامات

العائلية والاجتماعية ، وتشجيع مبادرات الأصدقاء والقريبين منا لمحاولة التسرية عنا وشغلنا عن أحزاننا ، وليس النفور من هذه المبادرات أو التعامل معها بجفاء كما يفعل للأسف بعض المهمومين وهم فى عنفوان همهم بأحزانهم . ذلك أنه ليس من وقود يحفظ للأحزان قوة اشتعالها أقوى من الوحدة . والفراغ والانفراد بالنفس . لهذا فلقد فعلت خيرًا يا سيدتى حين واجهت أحزانك بالعمل .. والاندماج فى مجتمع الصديقات والتجاوب معهن مما أدى لتشاغلك عن أحزانك واستعادتك لحماسك للحياة من جديد . والحماس للحياة لا يتعارض أبدًا مع الوفاء للأعزاء الراحلين لأنه تجاوب طبيعى مع وجودنا فيه .. فشكرًا لك على رسالتك ونصيحتك المخلصة لكاتبة رسالة النظرة العميقة .. والسلام .



بحر الكراهية !

كتبت إليك منذ ثماني سنوات ولم تجد رسالتي فرصة النشر ، والآن أعاود الكتابة مرة أخرى . فأنا سيدة في الخامسة والأربعين من عمري تزوجت منذ ٢١ عامًا ، من إنسانٍ توسمت فيه أن أجد لديه كل ما تمنيته في الرجل . فلقد كانت طفولتي تعيسة للغاية ، فقد رحلت أمي عن الحياة وأنا طفلة لا يزيد عمري على عام ونصف العام ، وتقلبت بي الحياة بين أيدي ثماني زوجات أب ، كان لكل منهن أسلوبها معي ووجدت منهن ما جعلني أكره حياتي وأتطلع لمغادرة بيتي إلى بيت زوج يعوضني عما عانيته في حياتي من شقاء ، وتزوجت أول من طرق بابي ، واصطدمت بعد زواجي منه بشخصيته التي تختلف عن شخصيتي في كل شيء ، فهو من النوع العنيف الذي يعالج أموره بالضرب ، وكثيرًا ما كان ضربًا مبرحًا يترك آثارًا تستمر لعدة شهور على وجهي وجسدي ، وفي خلال عامين أنجبت منه طفلين وأنا كارهة ، ومن أجلهما احتملت الحياة مع رجل لم أعد أطيق

عشرته وأصبح وجوده فى البيت كابوسًا ثقيلاً وكرهته كل الكره ، فلم يكن بيننا ذات يوم حوار إلا وانتهى بالضرب والشتم والسب ، ولقد أصبحت أكره ملامح وجهه ولم أعد أنظر إليها منذ ١٥ عامًا ، ولقد اضطررت ، وليسامحنى الله فى ذلك - أن أنفصل عنه وأنام فى حجرة أطفالى منذ سنوات بعيدة لكنى بالرغم من ذلك لم أكن أرفضه إذا دعانى ، وكانت هذه هى أكثر أوقاتى عذابًا ومعاناة .

ومضت السنوات بخيرها وشرها فلم أستطع العودة إلى حجرة نومى أبدًا ، ولقد حاول هو كثيرًا إعادتى إليها وفشل ، فأسلوبه لم يتغير والحياة معه حرمان من كل شىء ، وكلما طلبنا منه شيئًا ضروريًا تكون الإجابة هى الضرب ، وكلما ضربنى كرهته أكثر حتى أصبح كرهى له بلا حدود ، ولم يكن لى خيار فى استمرار الحياة معه ، فلقد كان من المستحيل أن أعود إلى بيت زوجة الأب مرة أخرى ، وإمكاناتى لا تسمح لى بالعيش وحدى وتحمل مسئولية أبنائى ، ولقد كان من رحمة ربى بى أنه كان كثير السفر فى عمله ، فصبرت على حياتى معه حتى كبر أبنائى والتحقوا بالجامعة منذ عامين ، والكارثة الآن هى أن زوجى قد ترك العمل الآن وتفرغ للجلوس فى البيت وأنا لم أعد أتحمل وجوده المستمر فيه لكرهى الشديد له ، ولا أعرف لماذا لم يطلقنى وقد طلبت منه الطلاق مليون مرة .

ونوبات الاكتئاب لم تفارقنى منذ زواجى ، وقد مرض زوجى أخيرًا بمرض معد عن طريق الدم وأكد لى الطبيب ذلك ، وزوجى دائم

الشجار معى لهجرى له ، وأنا زوجة لا تستطيع أن تكون زوجة لكرهها الشديد لزوجها .. فماذا أفعل فى مشاعر الكراهية هذه وهى لا حيلة لى فيها لأنها حصاد رحلة العمر المرير .

إننى أتمنى أن أعيش مع أولادى وحدى وأن يتركنى ذلك الرجل ويبحث لنفسه عن زوجة أخرى ، فقد ضاع عمرى معه فى حياة خالية من كل معنى ومن السعادة ولا أمل لى فى الحياة الآن إلا فى الانفصال عن زوجى لأننى لا أريد أن أراه أو أسمع صوته وأكره كل شىء فيه منذ ١٥ عامًا كاملة !

وإننى أسألك يا سيدى : أليس من حقى أن أحيا ما بقى لى من عمر بدون هذا الرجل فأتنفس الصعداء وأتخلص من الاكتئاب الذى يخيم على حياتى ؟!

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لا حصاد لمثل هذه العشرة السيئة إلا اختزان المرارة وترسبها فى الأعماق ، وتحولها مع مر السنين إلى كراهية متأصلة لا يجدى معها نصح ولا حديث ! إذ ماذا ينتظر العشير الذى لا يتفاهم مع شريكة الحياة إلا بالضرب المبرح الذى يترك آثارًا على الجسد والوجه لعدة شهور ، سوى أن تنطوى له زوجته على ما يشبه الحقد المكظوم الذى ينتظر تغير الظروف لكى ينفجر فى وجهه معبرًا عن نفسه بلا حرج ولا تجمل ؟

لقد قلت من قبل إن بعض الزوجات قد تضطرهن ظروف الحياة والحرص على مصلحة الأبناء إلى احتمال عشرة شريك الحياة والصبر

عليها إلى أن يشب الأبناء عن الطوق ، وتنتهى الحاجة المادية للزوج ، فتنفجر الكراهية المختزنة فى أعماقهن طوال سنوات الصبر والاحتمال ، ويقوم حاجز نفسى منيع بين الزوجة وزوجها تفشل معه كل المحاولات ، فيعيش الزوجان تحت سقف واحد وقد تحولا إلى غريبين لا ينطوى أحدهما للآخر إلا على أسوأ المشاعر ، أو تحتمى الزوجة ببيوت أبنائها رافضة اقتسام الحياة من جديد مع زوجها ، أو تصر الزوجة فى بعض المضاعفات الشديدة على الحصول على الطلاق والانفراد بحياتها دون النظر لأى تبعات تترتب على هذا الانفصال .

ولا عجب فى ذلك إذ ماذا ينتظر العشير - زوجًا كان أو زوجة - من شريك الحياة إذا هو قهر إرادته بالحاجة ومصلحة الأبناء سنوات طوالاً حين يتحرر الشريك من هذا القيد بنمو الأبناء ويسترد قدرته على الاختيار .

لقد شرع الله سبحانه وتعالى الخلع للمرأة التى تعجز عن احتمال عشرة زوجها لكراهيتها الشديدة له ، حتى ولو لم تنكر عليه خلقًا ولا دينًا فرخص لها بأن ترد عليه ما سبق أن أدى إليها من مال وتختلع منه . ولقد روى لنا الأثر تلك القصة المعروفة عن امرأة ثابت بن قيس التى شكت إلى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - أنها تكره زوجها كراهية شديدة وإن لم تكن تنكر عليه شيئًا من خلقه أو دينه ، فأمرها أن ترد عليه ما أخذته منه وأمره بأن يطلقها ، كما روى لنا الأثر أيضًا أن الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - قد رق قلبه لرجل

انفصل عن زوجته وهو راغب فيها فذهب إليها الرسول يحدثها فى عودتها إليه فسألته على استحياء : هل جاء شافعًا أم آمرًا ؟ فأجابها بأنه إنما جاءها شافعًا وليس آمرًا ، فأجابته : إذن فلا أعود ! فلم يرغمها الرسول الكريم على ما لا تريده ولم يتهمها فى دينها ولا فى طاعتها لربها ولرسوله.

لكن المشكلة لا تتمثل فى حقك فى أن تتنفسى الصعداء بعد سنوات الصبر والاحتمال وأن تعيشى مع أبنائك بغير زوجك ، وإنما المشكلة هى كيف يتحقق لك ذلك وأنت بلا مال ولا إمكانات لتوفير المأوى الكريم لك بعد الانفصال ، كما أن زوجك ليس قادرًا فيما يبدو لى من أحواله على أن يوفر لك ولأبنائك مسكنًا مستقلاً ويتزوج هو ممن ترضى بمشاركته الحياة فى مسكن الزوجية ، فما العمل إذن ! هل نطالبه كما تحلم بذلك بعض الزوجات الكارهات بأن يتلطف الزوج المكروه بالاختفاء من حياة زوجته وأبنائه ويخلى لهم مأواه الوحيد ويبحث لنفسه عن غرفة فى أى مكان ليعيش فيها وحيدًا عليلاً ما بقى له من عمر ، لأن زوجته تكرهه أشد الكراهية ومع استمراره فى الإنفاق على ساكنى الجنة التى طرد منها بغفلته وقسوته وسوء عشرته لزوجته ؟ وهل يقبل زوجك بهذا الحلم الحسير الذى يراودك ويراود مثيلاتك من الزوجات الكارهات ؟ لقد أخطأ زوجك فى حقك كثيرًا وزرع بذور كرهك له فى أعماقك على مر السنين ، ولكن ألا تستطيعين مادمت غير قادرة على أى حل آخر أن تغالبى نفسك وتحاولى النظر إلى وجهه

الذى كففت عن مجرد النظر إليه طوال السنوات الماضية بنظرة جديدة خالية من مرارات الماضى وذكرياته؟ أن المرض المعدى الذى حدثتنى عنه يقوم الأطباء بحقن الزوجة ومخالطى المريض بمصل يقيهم خطر العدوى منه . وزوجات كثيرات يخالطن أزواجهن المرضى بهذا المرض بغير خوف من العدوى بعد المصل ؟ فهل فكرت فى التحصين ضـده ؟ أو لا تحاولين مادمت عاجزة عن أى بديل آخر تحييد مشاعرك تجاه زوجك بما يخفف عنك بعض عناء الحياة ويعينك على مواصلة أداء رسالتك مع أبنائك بغير أن تعرضيهم للمتاعب ؟

إن الحب لا يشترى ولا يباع وإنما هو شعلة ذاتية الاشتعال تتطلب دائمًا رعايتها والحرص عليها لكى ينمو لهبها ويصمد لرياح الحياة ، ولهذا فلست أطالبك - وأنت من تحملين لزوجك كل هذه الكراهية - «بحبه» أو الوقوع فى غرامه بعد كل ما جرى منه لكنى أطالبك فقط بمحاولة تحييد مشاعرك تجاهه .. ومحاولة نسيان مرارات الماضى ، رفقًا بك أنت وبحالتك النفسية وجهازك العصبى قبل أى شىء آخر ، فهل تستطيعين ذلك لكى تخففى عنك ثقل الأيام ؟



ظلام الليالى !

أنا سيدة فى السادسة والثمانين من عمرى .. وقد رحل زوجى المهندس السابق بالقصور الملكية عن الحياة ، وكبر الأبناء واختلفت بهم السبل ، ومنذ عام ١٩٥٤ ، وأنا أقيم بميدان الدقى حين انتقل زوجى من عمله السابق بالقصور الملكية بالإسكندرية إلى وزارة الأشغال بالقاهرة ، ثم توفاه الله منذ ٣٨ عامًا ، وعشت وحدى بعد ذلك أستعين بإحدى المساعدات ومضت الأيام وضعفت معها عزيمتى وازدادت حاجتى إلى من يساعدنى فى حياتى ، وكلما اعتمدت على إحدى المساعدات ازدادت مطالبها ، وتلاعبت وتدللت استغلالاً لظروفى ، وإن لم أقبل بذلك تركتنى ، وبالرغم من مرور كل تلك السنين فإنى مازلت مشتركة فى جريدتى المحببة الأهرام ، وأقرأ بابك .. وفكرت فى أن أستعين بمفكرتك الحمراء ، عسى أن تكون هناك سيدة وحيدة مثلى أشقتها الوحدة وظلام الليالى وتغير الأوضاع ، وتبحث عن زمالة فى الحياة . وإقامة مستديمة بعيدة الأمد بإذن الله إلى أن يشاء

الله لى الرحيل ، فأستضيفها وتعاوننى بأجر رمزى قدره مائة وخمسون جنيهًا ، وكل مطالبها اليومية سوف تلبى لها بإذن الله ، فقط لا أرجو إلا أن تكون لديها قيم إنسانية وحنان نتبادله معًا ونستعين به على أيامنا .. فهل ترى من الممكن أن يتحقق هذا الأمل الكبير ؟ .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

قد يكون ما تعتبرينه أنت يا سيدتى أملاً كبيرًا لك .. حلمًا غاليًا على الناحية الأخرى لسيدة وحيدة مثلك وتحتاج إلى رفقة الحياة واقتسام شئونها معك ، لهذا فإننى أنشر رسالتك وآمل فى أن أتلقى لك عرضًا مناسبًا فى القريب العاجل بإذن الله .



الصداقة !

أنا سيدة تخطيت سن المعاش ، وقد توفى زوجى منذ ٤ سنوات . وكان رحمه الله يعاملنى فى حياته كالملكة المتوجة ، وبعد رحيله عن الحياة ، خلت الدنيا على بالرغم من أنى أقيم مع ابنى وزوجته وأحفادى ، وعانيت كثيرًا من الوحدة القاتلة خاصة بعد وفاة صديقة لى كانت قريبة من قلبى وأنا مقيمة بمنطقة المهندسين ، ومشتركة فى نادى الصيد المصرى ولى شقة فى الإسكندرية والساحل الشمالى ، وحرم وكيل وزارة . فهل أجد لديك زميلة لى فى الوحدة ومحتاجة إلى الصداقة مثلى فنتعاون معًا على قضاء الوقت واحتمال الوحدة المؤلمة . إننى أتمنى أن أجد مثل هذه الصديقة والزميلة لكى تؤنس كل منا وحدة الأخرى وتشد من أزرها وتعينها على احتمال الحياة وحبذا لو كانت تقيم فى حى قريب من المهندسين لكى يسهل على الاتصال بها... وأرجو أن تتفهم ظروفى وتهتم بهذا الأمر وشكرًا لك .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أتفهمها جيدًا يا سيدتى وأدرك عمق احتياجك الإنسانى إلى الرفقة الملائمة والصداقة الخالية من الشوائب فى هذه المرحلة من العمر .

فالحق أن الإنسان قد يشعر بالوحدة النفسية فى بعض الأحيان حتى وهو محاط بالبشر ، فيتطلع إلى ما يمكن أن نسميه بصداقة الروح التى يتوافر له فيها العطف الإنسانى .. والفهم المتبادل ووحدة الظروف الإنسانية وتقارب المشارب والاهتمامات . ولا شك أن هناك كثيرات يفتقدن مثل ذلك فى حياتهن ويتطلعن إلى الاستعانة على وحدتهن أو غربتهن النفسية وسط الأجيال الجديدة المحيطة بهن بمثل هذه الصداقة المنشودة ، وأرجو أن أتصل بك فى القريب العاجل لأعرض عليك ما أتلقاه لك من استجابات مناسبة بإذن الله.



الرؤية الجديدة!

قرأت لكم فى ردكم على إحدى رسائل البريد وفى مجمل نصيحة لفتاة جامعية تزوجت سرًا من أستاذها وأصبحت حاملاً منه. قرأت لكم أن الرأى الشرعى يبيح الإجهاض فى الأشهر الأولى من الحمل (بعض الفقهاء)، ولتسمح لى أن أعقب على هذا الرأى بما أثبته أخيرًا العلم الحديث ويقطع الشك باليقين فى هذا الأمر، ذلك أنه منذ أن يتم تلقيح البويضة (الحية) بحيوان منوى (حى) تصبح خلية ملحقة (حية) وتبدأ فى الانقسام مكونة (جنينًا حيًا)

وهذا الجنين الحى يعلق بجدار رحم الأم ويمكن الكشف عليه بجهاز الموجات الصوتية ورؤيته وبه (حياة) ونبض فى الأسابيع الأولى من الحمل.

أما رأى الفقهاء الذى تفضلتم بالإشارة إليه، فقد اعتمد على أن حركة الجنين داخل بطن الأم والتى تبدأ الأم فى الشعور بها، تكون

غالبًا بعد الشهر الثالث ، ومن هنا كان الاعتقاد بأن الحياة تدب فى الجنين بعد الشهر الثالث .

وعلى هذا فإن الرؤية العلمية الحديثة والتى تؤكد وجود حياة بالجنين منذ حدوث التلقيح تلغى تمامًا مشروعية الإجهاض إلا لأسباب طبية مؤكدة تتعلق بسلامة الأم والمولود .

برجاء التفضل بتوضيح هذه الحقيقة لقراء بريد الجمعة .

من رسالة للدكتورة/ نور الهدى عضو هيئة التدريس بطب الإسكندرية .

ولكاتبة هذا التعليق المفيد أقول :

إننى سبق أن نشرت تعليقًا علميًا مؤيدًا لرأيها ، وذكرت فى تعقيبى عليه أن الفتوى المشار إليها قد صدرت عن الأزهر الشريف فى عهد إمامه الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق يرحمه الله وتضمنها كتاب « بيان للناس » الصادر عن الأزهر فى عام ١٩٨٨ ، ولعل متغيرات العلم الحديثة تتطلب إعادة بحث هذا الأمر من الناحية الشرعية وإصدار فتوى جديدة بشأنه .. وشكرًا لك .



هدية من السماء !

أنا الطبيب المصرى المقيم فى بريطانيا الذى نشرت رسالتى فى ٢٣ يوليو الماضى بعنوان «حوادث الأيام» وكنت قد رويت فيها عن فقدى زوجتى بعد رحلة زواج سعيدة فى الغربة ، وعن حيرتى مع طفلتى الصغيرة التى تسألنى عن أمها كثيرًا وتفتقد وجودها بشدة فى حياتها ، وأبلغتك بأننى سأكون فى مصر خلال شهر أغسطس وسأقضى شهرًا مع أسرتى ، وتمنيت لو كنت تستطيع مساعدتى فى إيجاد أم بديلة لطفلتى الصغيرة التى طالما أبكتنى بحنينها المحروم إلى

أمها ، ولقد نشرت الرسالة وتفضلت بإرسال الاستجابات العديدة التى تلقيتها من أجلى ، وأنا الآن أكتب إليك بعد انقضاء إجازتى فى مصر وعودتى إلى بريطانيا لأروى لك ولبريد الجمعة والعاملين فيه ، ولكل من غمرنى. بالاتصالات والرسائل والفاكسات خلال وجودى فى مصر واجب الشكر لكم جميعًا ، راجيًا لكل من اتصلت بى أن يوفقها الله سبحانه وتعالى إلى ما تتمناه لنفسها من حياة سعيدة واستقرار ، أما

أنا فلقد وفقني الله سبحانه وتعالى من خلال بريد الجمعة إلى أم بديلة لأطفالي هي في الحقيقة هدية من السماء لكي تعوضنا بها عما قاسيناه من قبل من حوادث الأيام ، وهي تشاركني الآن هذا الشكر لبريد الجمعة وترجو له معي التوفيق في خدمة بقية القراء ، كما وفقه الله سبحانه وتعالى في خدمتنا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

بل الشكر لك أنت لاهتمامك بإبلاغي بأن الله سبحانه وتعالى قد وفقك إلى الارتباط بإنسانة فاضلة تعوض أطفالك عن حرمانهم من أمهم الراحلة ، وتمسح عنك آلام الفترة الأخيرة من حياتك ، وترفع أستار الحزن عن نوافذ بيتك .. فتتسلل منها أشعة الشمس وتغمره بأضواء الابتهاج بالحياة والتفاؤل بالغد الآتي .

فلقد اسعدتني برسالتك القصيرة هذه وطمأنتني إلى أن طفلتك الصغيرة قد استعادت ابتسامتها وإحساسها المفقود بالأمان والاطمئنان إلى جوارك وإلى جوار هدية السماء لها ولأسرتك كلها .. فشكرًا لك ولشريكة حياتك الجديدة وأرجو لكما ولأطفالكما كل خير وسلام .



الحياة الهادئة !

أنا سيدة فى الخامسة والستين من عمرى توفى عنى زوجى منذ سنوات وترك لى معاشًا كبيرًا يكفينى والحمد لله .. وليس لى أبناء وقد منَّ الله علىَّ بالحج ثلاث مرات ، وبالعمرة مرة واحدة ، وأعيش حياة هادئة ، لا يشغلنى فيها شاغل سوى الصلاة فى مواعيدها .. وقراءة الصحف ومشاهدة التليفزيون والتسامر مع بعض الأهل والجارات الذين يزوروننى من حين لآخر ، وأنا راضية والحمد لله عن حياتى .. وعما أكرمنى به ربى خلال رحلة العمر ، وقد

عاشرت زوجى بالمعروف طوال سنوات الرحلة إلى أن سبقنى إلى لقاء ربه ، وأدعو له فى كل صلاة .. وأنا أملك قطعة أرض مساحتها ٦ قراريط من أجود الأراضى الزراعية فى قريتى بالشرقية ، وأشعر بأننى فى نهاية العمر ، وأريد أن أتبرع بهذه القطعة لمعهد الأورام، القومى لكى يتصرف فيها ويخصص ثمنها لصالح مرضى الأورام ، شفاهم الله جميعًا وخفف عنهم برحمته آلامهم ، ولكى تكون هذه الأرض صدقة

جارية لى بعد وفاتى ، ولقد كتبت إليك لكى تقوم بعرض هذا الأمر على المسئولين بالمعهد ، وكل ما أرجوه هو أن يحضر إلىّ فى قريتى مندوب من المعهد لاتخاذ الإجراءات القانونية للتبرع بهذه الأرض ، لأننى مسنة ومريضة ولا أستطيع السفر للقاهرة ولا أضمن عمرى ؛. فهل تساعدنى فى ذلك .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

حبًا وكرامة يا سيدتى أفعل كل ما أستطيع لتحقيق رغبتك النبيلة بإذن الله . وسوف أتصل بالأستاذ الدكتور شريف عمر عميد معهد الأورام وأعرض عليه تبرعك الكريم ، وأتعاون معه على إتمام الإجراءات المطلوبة بغير إرهاقك بمشقة السفر للقاهرة إن شاء الله . وشكرًا لك على إسهامك النبيل فى التخفيف من آلام مرضى الأورام، شفاهم الله وشفى الجميع من أمراضهم ، وبشرى لك بأجرك الموفور بإذن الله من رب العالمين .



الصبر .. والأمل!

أكتب لك عن صديقتين لى ولأسرتى التى تقيم بالإسكندرية ، فلقد لدتا لأب وأم عانت فى أخريات عمرها من فقد البصر وأنفق عليها زوجها الكثير لعلاجها دون جدوى إلى أن رحلت عن الحياة، وعاشت الفتاتان مع الأب والأخ الوحيد، وبعد أن تخرجت الكبرى فى كلية الآداب ، وخطبت لشاب من أسرة طيبة أصيبت الكبرى بمرض أمها وفقدت الإبصار نهائيًا ، فانصرف عنها خطيبها، وعقب إنهاء الأخت الصغرى من امتحان الفصل الأول من عامها الجامعى الأخير واجهت الظروف المؤلمة نفسها وفقدت هى الأخرى إبصارها وواجهت الفتاتان حياتهما الجديدة بصبر وأمل ، وبعد قليل غادرهما شقيقهما للعمل فى القاهرة، ثم لم يلبث الأب الحزين أن لبى نداء ربه فخلت الشقة على الفتاتين ، وأصبح من يقضى حوائجهما هو البواب النوبى وبناته مقابل راتب شهرى من شقيقهما المقيم بالقاهرة ، وللأسف فقد ابتعد عنهما الأهل بعد أصبحتا عبئًا عليهم لا طاقة لهم بتحمله وتوقفوا حتى عن الاتصال بهما تليفونيًا . والمشكلة هى أن هاتين

الفتاتين قد فقدتا البصر وهما فى سن الشباب ولم تتعلما كيف تواجهان الحياة بغير نور البصر ، وهما فى بيتهما تقومان بكل الأعمال المنزلية من نظافة وغسيل وطهو ، لكنهما لا تعرفان مثلاً القراءة بطريقة برايل ولا تستطيعان الخروج وحدهما إلى الشارع ولا تستطيعان إحضار أى شخص للبيت لتعليمهما لأنهما تعيشان بمفردهما ، وشقيقهما الوحيد يرجع إليهما كل شهر مرة من القاهرة لقضاء مصالحهما ، وكل ما نملكه لهما أنا ووالدتى هو السؤال عنهما تليفونيًا وزيارتهما من حين إلى آخر ، وقد نستطيع فى بعض الأحيان أن نحقق لهما «أمنيتهما الغالية» وهى الخروج من البيت لبعض الوقت وقضاء فترة قصيرة فى أى مكان عام ولا نستطيع للأسف أن نقدم لهما أكثر من ذلك .

لقد حكمت الأقدار على هاتين الفتاتين بأن تعيشا حياتهما بين أربعة جدران وهما فى عز شبابهما والحياة عريضة أمامهما أو كانت كذلك ، وهما راضيتان بأقدارهما ، ولا تستشف فى حديثهما أى أثر للشكوى أو التذمر ، وتعيشان فى شقة بأرقى أحياء الإسكندرية وميسورتان ماديًا ولا تحتاجان إلى أى عون مادى وإنما إلى العون الإنسانى وإلى من يساعدهما فى حياتهما ويسأل عنهما أو يكون صاحب أو صاحبة تجربة مماثلة يساعدهما بخبرته على أمرهما .. كما أننى أتمنى من الله .. ولا شىء يعلو على قدرته أن تجد كل منهما زوجًا صالحًا تقضى معه بقية حياتها فهل هذا كثير عليهما ياسيدى؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

ليس كثيرًا عليهما .. وقد يكون أقل القليل الذى تستحقانه جزاء وفاقًا لرضائهما بأقدارهما وتقبلهما لهابصبر وأمل .

إن فى الإسكندرية كما أعلم هيئات وجمعيات تهتم برعاية من حرمتهم أقدارهم من نعمة البصر ، ولا شك أن أعضاءها ومسئوليها يستطيعون تقديم هذا العون الإنسانى الذى تحتاج إليه هاتان الفتاتان الراضيتان بأقدارهما وإعانتهما على حياتهما الجديدة وتدريبهما على تعويض فقدهما البصر ، بالاعتماد الأكبر على حاستى السمع واللمس واشتراكهما فى أنشطة هذه الجمعيات ورحلاتها ولقاءاتها وتحقيق أمنيتهما الغالية فى الخروج إلى الطريق العام من حين لآخر وشغل أوقات فراغهما بما يهون عليهما الحياة ويزيدهما أملاً فيها وصبرًا على عنائها .

وإنى لأترقب أن تتصل بى إحدى هذه الجمعيات والهيئات لتنظيم تقديم هذا العون الإنسانى لهما .

أما أمنية الزواج وهى حق مشروع لهما فإنى أشاركك الأمل فيها ولعل اتصالهما بإحدى هذه الجمعيات يكون بداية جديدة تيسر لهما تحقيق هذا الأمر فى وقت قريب بإذن الله .



المسئولية !

أنا أم غير عاملة ولدى أبناء موفقون بفضل الله فى دراستهم ، وزوجى مهندس كهرباء من أحسن المهندسين وأكفئهم فى عمله ، وقد عمل سنوات طوالاً فى الخليج ، ونفذ مشروعات كبرى هناك ورجع مع من رجعوا إلى بلدهم بعد حرب الكويت ، وحمدنا الله على كل شئ ومضت حياتنا هادئة وبعد عودته بفترة قصيرة ، توفى زوج أخته بعد معاناة طويلة مع المرض وترك أبناء فى مختلف المراحل الدراسية ، ولم يترك وراءه سوى الستر ، فاحتضن

زوجى أخته وأبناءها وكأن الله قد أعاده من عمله بالخليج فى هذا الوقت بالذات ليكون أبًا ثانيًا لهؤلاء الأبناء الذين لا عائل لهم سواه .. وبعد سنوات أخرى مرض شقيقه بمرض عضال فوقف زوجى إلى جواره وراح يصطحبه إلى علاجه المنهك فى مواعيده ، ويرجع منه خائر القوى إلى أن تدهورت حالة الشقيق ولقى وجه ربه ، وخلف وراءه عددًا آخر من الأبناء فى مراحل التعليم ، فاحتضنهم زوجى

وأصبح بذلك مسئولاً عن ثلاث أسر لديها ١١ ابنًا وابنة فى أعمار مختلفة ، وأبًا لكل الأبناء ومسئولاً عن إعالتهم واحتياجاتهم وتلبية رغباتهم ، ولم نضق بهذه المسئولية الكبيرة ، وإنما رحنا أنا وزوجى نكافح لإسعاد هؤلاء الأبناء وإدخال السرور إلى قلوبهم ، فنلبى احتياجاتهم ونراقب دراستهم ونسعد بنجاحهم وبتقدمهم فى مراحل العمر .. وكلما ضاقت بنا الأحوال سارعت ببيع بعض ما أمتلكه من مصوغات ذهبية وأعنت بثمنه زوجى على تحمل مسئوليته ، لكيلا يشعر الأبناء بأى تقصير من جانبه ، وكلى ثقة فى أن الله سبحانه وتعالى سوف يحتسب له عطاءه هذا فى ميزان حسناته ويحفظ به أبناءنا ويجنبهم السوء .

وفى غمرة هذا الكفاح أصبت بمرض أعجزنى بعض الشئ عن الحركة وتطلب تكاليف كثيرة للعلاج ، فاعتبرته ابتلاءً من الله ادعوه مخلصة أن يكون ابتلاءً حسنًا ، وأن يتم علىّ نعمته بالشفاء الكامل . ليس من أجلى أو من أجل أبنائى فقط ، وإنما أيضًا من أجل زوجى الصابر المكافح الذى نفذت معظم مدخراته عن سنوات الغربة ، واضطر أخيرًا للبحث عن عمل بمؤهله وخبرته التى تبلغ ٢٥ عامًا ، فلم يوفق حتى الآن فى الحصول عليه .. إننا نقيم بمدينة ٦ أكتوبر وهى عامرة بالمصانع والشركات .. أفلا تتسع إحداها لزوجى لكى يستطيع مواصلة تحمل مسئولياته عن «أبنائه» الأحد عشر .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

لابد من أن هناك مصنعًا أو شركة تحتاج إلى خبرة رجل أمين كزوجك المكافح الذى غرس الله سبحانه وتعالى الرحمة فى قلبه ، فاتسع لأبناء شقيفته وشقيقه إلى جوار أبنائه ، فهو واحد من هؤلاء الذين حق على الله والبشر عونهم إن لم يكن لخبرته وكفاءته وحدهما ، فمن أجل من يعتمدون عليه فى حياتهم وينهض هو بمسئوليته عنهم راضيًا مستبشرًا !

وإنى لأرجو أن أتلقى له عرضًا ملائمًا وأن تسعدنى الظروف بالاتصال بكم وإبلاغكم إياه فى وقت قريب بإذن الله .



المحتويات

أرض الأحزان

إيمانًا بدور وقيمة عبد الوهاب مطاوع - فى الذكرى الثانية لرحيله - أخذت "الدار المصرية اللبنانية" على عاتقها عبء إتاحة هذا التراث للقراء العرب، فأخرجت هذه السلسلة الجديدة التى لم تنشر من قبل، وعملاً بسياسة الدار الثابتة فى إتاحة الأعمال التى أنجزت لكثير من الكتاب المصريين والعرب ولم تنشر من قبل ووضعها بين يدى قرائها فى كل أنحاء الوطن العربى.

وإيمانًا من الدّار - أيضًا - بقيمة تراث عبد الوهاب مطاوع، وفى القلب منه هذه الرسائل، التى تشكّل الخلفية الاجتماعية للتطوّر الاقتصادى والسياسى الذى مرّت به مصر والوطن العربى فى العقدين الأخرين، تلك الخلفية الاجتماعية التى تشبه المرآة تنعكس عليها تلك التطوّرات سلبًا وإيجابًا تأثيرًا وتأثرًا.



*عبد الوهاب مطاوع ١٩٤٠-٢٠٠٤

* شغل منصب مدير تحرير جريدة الأهرام ورئيس تحرير مجلة الشباب.
* حصل على جائزة مؤسسة على أمين ومصطفى أمين عام ١٩٩٢ كأحسن كاتب صحفى يكتب فى المسائل الإنسانية.
* كان يكتب باب (بريد الجمعة) الإنسانى فى الأهرام كل أسبوع بانتظام منذ عام ١٩٨٢، ويشرف على باب بريد الأهرام اليومى بصحيفة الأهرام.
* صدر له ٥٤ كتابًا ، يتضمن بعضها نماذج مختارة من قصص بريد الجمعة الإنسانية وردوده عليها ، ويتضمن البعض الآخر قصصًا قصيرة وصورًا أدبية ومقالات فى أدب الرحلات.
* صدرت له ثلاث مجموعات قصصية هى: (أماكن فى القلب) (ولاتنسنى) ، (والحب فوق البلاط).



